أزمة اليسار المصري

عبد القادر ياسين

تحرير

نبيل صبحي عبد الغفار شكرسعد الطويل

حسن شعبان صلاح عدلي مصطفى مجدى الجمال

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد
اســم الكتاب : أزمة اليسار المصري
المـــــؤلف : الجبهة العربية المشاركة للمقاومة الفلسطينية
رقــم الإيداع :

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٤٠٤٢٦ - ٢٧٨٧٧٥٢٤

Tokoboko_5@yahoo.com

الطبعة الأولى 2012

مقدمة

ا ستبدت أزمة طويلة باليـ سار المـ صري. وهي غير مـ ستعـ صية على الحل. وقد آن الأوان لنرفع رؤوسنا من الرمال التي غرسنا رؤوسنا فيها، ردحًا من الزمان .

التشخيص نصف العلاج. وقد اجتهدت جبهتنا؟، فرأت بأن التبعثر هو أس البلاء، والحلقة الرئيسية، التي إن سحبناها سحبنا معها بقية الحلقات. لهذا ، كانت هذه المائدة المـ ستديرة حول «أزمة اليـ سار»، التي بدأت بورقة من «الجبهة» ، وعلَّق عليها كوكبة من فرسان اليسار المصري، فكان هذا الكتاب ولكن بدون مداخلة « التجمّع التي بإرسـالها الأسـتاذ حسـين عبد الرزاق ، لكنه لام يفعل ، فيما لم يتكرم « الاشتراكيون الثوريون » بمجرد تسمية مندوبهم إلى المائدة . .

القاهرة في 2/ 4/ 2012

الجبهة العربية المشاركة للمقاومة الفلسطينية

فارس.. وكاتب.. وقضية

فارسنا اليوم.. المناضل الدءوب والمؤرخ والكاتب.. الصديق أبو جميل «عبد القادر ياسين» .

الكتاب.. «الحركة الشيوعية المصرية الجذور والسمات والمآل» .

أما القضية.. قضيتنا.. وقضيتكم جميعًا..

قضية الطبقة العاملة المصرية والشعب المصري. قضية بناء الاشتراكية على أرض هذا الوطن.

قضية بناء الحزب الذي يحمل لواء هذه القضية.

بدأت فصولها مع بدايات العقد الثاني من القرن العشرين.. ومازلنا حتى اليوم. أبطالها فرسان

بحق.. بما لهم وما عليهم قدموا تضحيات غالية.. قدموا حياتهم من أجل قضية يؤمنون بها.

تحية لكل أبطال وشهداء الطبقة العاملة المصرية.

ويقدم لنا اليوم الصديق أبو جميل ورقة عمل للمناقشة ، تطرح أزمة اليسار المصري ويصل ، في

النهاية ، إلى استنتاجات مفادها أن:

-العلنية.

-الثقافة النظرية الكافية.

-الخبرة الواسعة.

-الدروس المستفادة من عقم الانشقاقات.

والأهم من هذا كله:

«الرؤية السياسية الواحدة للداخل والإقليم والخارج»

«الانتخابات النيابية الأخيرة كشـفت مدى ضـعف اليسـار ، وما دفعه إلى الارتباك في تحالفاته الانتخابية».

«الأمر الذي جعل من توحيد اليسار أمرًا ملحًا لتحقيق الحضور السياسي اللائق به».

حسن شعبان

ورقة للمناقشة في أزمة اليسار المصري

عبد القادر ياسين

معروف أن «الحزب الاشتراكي المصري» قد تأسس في صيف 1921، وسرعان ما اختار الدخول إلى الحاضنة الدولية (الكومنترن)، سنة 1922، وحمل صفة «الشيوعي»، بدلاً من الاشتراكي. لكن الكومنترن قطع علاقته بالشيوعي المصري، سنة 1930، بعد أن تأكد له استحالة استمرار التعاون مع ذاك الحزب.

في قطيعة مع الميلاد الأول، وخارج الحاضنة الدولية، جاء الميلاد الثاني للحركة الشيوعية المصرية، أواخر ثلاثينيات ومطلع أربعينيات القرن العشرين، في شكل حلقات متباعدة (تحرير الشعب، الحركة المصرية للتحرر الوطني [ح.م.]، الطليعة الشعبية للتحرر، إيسكرا، القلعة، وطليعة الإسكندرية). وإن كانت وثبة 1946 الوطنية المصرية

قد زادت في اقتناع أعضـــاء وكوادر هذه الحلقات بمدى إلحاح وحدتها، لمواجهة التحديات الوطنية والطبقية الجسيمة. فكانت الوحدة التي ضمت ، في أبريل / نيسان 1947، كلاً من ح . م، وإيكســـرا، و جزءًا من تحرير الشـــعب، والقلعة، وطليعة الإســـكندرية، و بذا و لدت «الحر كة الديمقراطية للتحرر الوطني » (حدتو)ولكن بعد أن انسلخ عن ح. م 1946، فوزي جرجس وعبد الفتاح القاضي، مشكلين «العصبة الماركسية»، وفي الوقت الذي انضم الجزء المتبقي من «تحرير الشعب» إلى «طليعة الشعب للتحرر» ، وتسمى التنظيم الجديد با سم «طليعة العمال». فيما شكل التروتسكيون، منذ أواخر ثلاثينيات القرن الما ضي، منظمة «الفن والحرية»، التي سرعان ما خرج منها تنظيم «الخبز والحرية».

مع تجذر أزمة المجتمع المصري ، تعمقت، أيضًا ، أزمة الحركة الشيوعية المصرية ، فتوالت الانشقاقات في «حدتو»، حيث تربَّص القادة المتحدرون من ح.م . ومن إيسكرا كل منهم بالآخر، وتوفرت ذرائع الانشقاق، بعد أن تقدم رأس ح.م .

حيث تقدم هنري كورييل بورقته الشـهيرة «خط القوي الوطنية الديمقراطية»، وجابهه شـهدي عطية الشافعي بورقته« خط الطبقة العاملة»، و سرعان ما قاد الشافعي أول انشقاق عن «حدتو» ، وتلته ستة انشقاقات (التكتل الثوري / صوت المعارضة/ نحو منظمة بلشفية / العمالية الثورية / نحو حزب شيوعي / المنظمة الشيوعية المصرية/ نحو حزب شيوعي مصري)

في 15/ 5/ 1948 انتهزت حكومة النقراشـي فرصـة اشـتراك الجيش المصـري في حرب فلسطين، لتعلن تلك الحكومة الأحكام العرفية، ولتلتهم المعتقلات المصرية مئات الشيوعيين، من التنظيمات كافة.

وفي هذه المعتقلات تشـظت «حدتو» إلى 28انشـقاقًا، لم يبق منها سـوى «طليعة الشـيوعيين »، و«النجم الأحمر»، فيما حملت «العصـبة الماركسـية» اسـم « نواة الحزب الشـيوعي المصـري». في الوقت الذي تأسـس «الحزب الشـيوعي المصـري» ، مطلع 1950، من روافد أربعة: «التكتل الثوري» ، «طليعة الإسكندرية»،« العصبة الماركسية»، و «حدتو»

فيما تولى رجل من خارج هذه التنظيمات موقع الأمين العام للحزب الوليد، وهو د. فؤاد مرسي، الحاصل على دكتوراه الدولة من جامعة السوربون بباريس . وقد وضع «المصري » حدًا لإهدار النظرية ، ولعلنية التنظيمات السرية.

منذ «حركة الجيش»، في 23يوليو / تموز 1952، غدا الموقف من الطبيعة الطبقية لنظام الحكم في مصر العامل الرئيسي في انشقاقات التنظيمات الشيوعية المصرية ، ووحداتها المتوالية؛ فبعد أن انفردت « حدتو» بإعطاء صوتها لحركة الجيش، دونًا عن بقية المنظمات الشيوعية المصرية والعربية والأجنبية، وفي تماثل مع « الإخوان المسلمين». وللمفارقة فإن بعض قادة «حدتو» والإخوان اشتركوا في التوهم بأن حركة الجيش حركتهم !

غني عن القول بأن بعض قادة «حدتو»، يتقدمهم كمال عبد الحليم قد أسسوا وهمهم على إخفاء «حدتو» لمطبعة «الضباط الأحرار»، في أعقاب حريق القاهرة (26/ 1/ 1952)،

وطباعة بياناتهم عليها، بل كتابة معظم هذه البيانات من قبل «حدتو» نفسها، ناهيك عن تبكير ضابط من «حدتو» هو القائم مقام (العقيد) يوسف صديق، في التحرك بكتيبته مبكرًا ساعة عن موعد التحرك، فأنقذ الحركة من الاغتيال المؤكد.

فضلاً عن أن عبد الحليم كان يتصدر مجموعة من قادة «حدتو» وكوادرها في مجال العمل العلني (النقابات / حركة السلام/ الصحافة العلنية)، بينما للعمل العلني استحقاقات ، لا مفر من دفعها للسلطة، فالبرجوازية لا تمنحك تعبيرًا علنيًا، إلا وهي تطمع في أن تنتفع من ورائه. وقد حاول من تصدوا للعمل العلني في «حدتو» أن يمدوا تلك الاستحقاقات إلى العمل السري ، وتجلى الغضب من هذا المد، أولاً ، في انشقاق إبراهيم فتحي بجزء من التنظيم الطلابي وتشكيله «وحدة الشيوعيين»، ثم كان الخروج الكبير لرأس «حدتو» سيد سليمان رفاعي (بدر) ، ومعه نسبة غير صغيرة من قادة وكوادر وأعضاء «حدتو»، صيف 1953 ،

ليشـكلوا « حدتو- التيار الثوري»، ما اضـطر من تبقى في « حدتو» إلى أن يحذوا حذو بقية المنظمات الشـيوعية ، المحلية، والعربية، والأجنبية. ما عرَّض الأخيرين للتعذيب ، بما فاق غيرهم من الشيوعيين، وكان«بيان السجن الحربي» الشهير.

في السجون والمعتقلات، اكتشف الشيوعيون أن الحدود قد انمحت فيما بينهم، وأن خطوطهم السـياسـية متطابقة، فضـلاً عن فزع قادة المنظمات الشـيوعية من فكرة انتهائها ، ما جعل الوحدة« طوق نجاة لها جميعًا». هنا توحدت أربع منظمات (ت.ث.، طليعة الشـيوعيين ،النجم الأحمر، نواة الحزب، في «الحزب الشـيوعي المصـري الموحَّد» (فبراير / شـباط/ 1955) ،وبعد نحو شـهر انضمت «حدتو» إلى هذه الوحدة.

بعد أن وضع جمال عبد الناصر حدًا لمراهنته على الولايات المتحدة كي يُحدِّث مصر بالاعتماد على وا شنطن، بمجرد أن نفد صبره ، ربيع 1955، وتأكد من عدم رغبة وا شنطن مد يد المساعدة له، اقتصـاديًا وعسـكريًا، بدأ عبد الناصـر مسـيرته القومية التقدمية، فكانت «صـفقة الأسـلحة التشـيكية»، خريف 1955، تم الاعتراف بالصـين الشـعبية، مما طوَّر علاقة الحب المفقود بين القاهرة وواشنطن إلى مواجهة ، انتهت بالعدوان الثلاثي ، خريف 1956.

في هذه المرحلة، أعطت المنظمات الشيوعية صوتها لعبد الناصر، واتحدت برامجها في تحديد الطبيعة الطبقية لنظام عبد الناصر، ففقدت تلك المنظمات مبرر تبعثرها ، وكان أن أسست مكتب تنسيق فيما بينها، أدى إلى توحيد «الموحَّد» و«المصري» في المتحدة، صيف 1957، قبل «الشيوعي للعمال والفلاحين». ، وكانت الوحدة الكبرى بين أكبر ثلاث منظمات شيوعية، في 8يناير / كانون الثاني 1958، وإن عابها تربص« المصري»و« ع. ف .»بقادة « حدتو»، داخل «الوحدة» ، الأمر الذي تعزز، بمجرد وقوع عبد الناصر على تنظيم ديكتاتور البرتغال، سالازار «الاتحاد القومي»، لتطبيقه في مصر. ومنح المتحدرين من «حدتو» تأييدهم المطلق لعبد الناصر في هذا الصدد، فيما اختار المنحدرين من «المصري» و «ع.ف.» معارضة «الاتحاد القومي». ثم كان تحقيق الوحدة المصرية- السورية (22/ 2/ 1958)، فرحب بها الحزب الوليد، قبل أن يطالب بضرورة الا ستقواء بالديمقراطية في تلك الوحدة، وا ستثنى المتحدرون من «حدتو» أنفسهم من تلك المطالبة، فنشأ تمايز حاد، سرعان ما تحول إلى اصطفاف ، بين من وقَّعوا لعبد الناصر على بياض (حدتو)، وبين من تحفَّظوا ، مشددين على ضرورة الأخذ بالديمقراطية أسلوب حياة، ما خصَّب الأرض لانشقاق «حدتو» في معظمها عن الحزب الوليد .

مع حملات الاعتقال الواسعة ضد الشيوعيين ، مطلع 1959، أخذت الشقة تتسع بين «الحزب » و «حدتو» ، حيث طالب الاتجاه المتنفذ في الأول بإسقاط نظام عبد الناصر «ممثل الجناح اليمينى في البرجوازية القومية»، فيما طوَّرت «حدتو» تأييدها لنظام عبد الناصر، الذي اعتبرته، بداية، ممثلاً ليسار البرجوازية الوطنية، أي البرجوازية الصغيرة ، وتحت سياط الجلادين ، طوَّرت «حدتو» هذا الأمر ، فلاحظت وجود «مجموعة اشتراكية» في النظام، يقودها عبد الناصر نفسه ، لذا لم تجد «حدتو» صعوبة في حل نفسها، بل إن قواعدها ضغطت للتعجيل بالحل، مادامت في السلطة «مجموعة اشتراكية»، بما يجعل من المُلِح تحقيق «وحدة الاشتراكيين»، ودعم تلك «المجموعة».

***

أما الحزب ، فقد اضطر إلى تلفيق ما يشبه المؤتمر للحل الخجول، بعد نحو شهر من حل «حدتو» (ربيع 1965).

مجموعة من «الحزب» تحفَّظت على الحل، فيما جاهر بمعارضـــته الثلاثة المعروفون (رجائي طنطاوي، ومنصور زكي، وعدلي جرجس). واستمروا يحملون اسم «الحزب الشيوعي المصري 8يناير»، فيما لم تجاهر مجموعة أخرى بمعار ضتها ، وظلت تعمل ، وإن بدون ا سم، و ضمت كلاً من : نبيل صبحي، وحسن الساكت، ومحمد عبد الواحد، وعبد العال البسطاويسي، وحفني. أما «حدتو» فإن مجموعة صغيرة منها اختارت الوقوف في المنطقة الرمادية، وتسَمت باسم «التيار».

لأن هزيمة 1967 كشـــفت الخلل الاســـتراتيجي في نظام عبد الناصـــر، لذا فإن مجموعة من المتحفظين على حل الحزب، عادوا فشـــكلوا حلقتين، ســـرعان ما اتحدتا، وأصـــدرتا نشـــرة «الشروق»(*)، وقد تمت الوحدة دون مشاكل تُذكر، فالخط السياسي واحد،

(*)قادة المجموعة الأولى هم: نبيل الهلالي، ميشيل كامل، فوزي حبشي، يوسف درويش، أديبد يمتري ومحمد علي عامر.

أما المجموعة الثانية: فضمت كلاً من :فخري لبيب، وعبد الله كامل، نبيل صبحي ، سيد سالم، وجميل حقي .

وملابسات التأسيس متطابقة، والأصل التاريخي لقادة المجموعتين يعود ـــ في أغلبيته ـــ إلى «المصـــري» أو «ع.ف.»، مع شـــخصـــين فقط متحدرين من «حدتو»، هما حبشـــي ، وعامر. فيما وجددت « «وحدة الشيوعيين» نفسها في« حزب العمل الشيوعي المصري»

مع ارتداد السادات عن خط عبد الناصر

التقت مجموعة متحدرة من «حدتو»، تصـــدرها زكي مراد، وأصـــدرت نشـــرة «الانتصـــار»، واشـــتدت معارضـــة اليســـاريين للســـادات، ما شـــكَّل عامل دفع إلى وحدة القائم من الحلقات الشيوعية، فالتقى مندوبون عن خمس حلقات ، وا ستُبعد «التيار»، لميله المعلن للسادات، لمجرد توفير الأخير هامشًـــا في مجال حرية التعبير، بما جعل التيار يميِّزه عن عبد الناصـــر، الذي غابت الديمقراطية عن عصـــره. وانتهى اللقاء بو حدة ثلاث حلقات ، هي : الشـــروق، والانتصـــار، ومجموعة ثالثة تصـــدرها كادران حدتويان، هما : ســـعد كامل ، ومحمود توفيق، فكان «الحزب الشيوعي المصري»، في 1/ 5/ 1975.

وبقي «العمال» و «8يناير» و«التيار» خارج هذا الحزب. وإن تعرض الأخير لنحو خمسة انشقاقات، بذرائع واهية! قبل أن تتعمق الخلافات داخله بين تيار يميني، يمالئ سلطة مبارك، وآخر يعارضها، فكان خروج الأخير ، ا لذي انتظر مدة، قبل أن يؤسس «حزب الشعب الاشتراكي». ولكن بعد أن حل كل من «8يناير»، و«العمال» نفسيهما، على نحو مثير للاستهجان.

فيما استمر التروتسكيون يمارسون نشاطهم شبه العلني، منذ الثمانينيات، ليقع أول انشقاق عندهم 2010، وحمل اسم «التجديد الاشتراكي»، بأسباب مثيرة للجدل.

الاستنتاجات

باستقراء مسيرة الحركة الشيوعية المصرية ،سيلاحظ ما يلي:

ـــ **وجود الحاضنة الدولية** (الكومنترن)، على مدى عشرينيات القرن العشرين، حمى الحزب من الانقسامات.

ـ **علنية الحزب**، ما بين سنتي (1921ـ 1924)، قطع الطريق على الحجة في حجب الديمقراطية الداخلية عن الحزب.

ـــ أما في الميلاد الثاني للحركة الشيوعية ، فقد بقى الجنين خارج رحم الحا ضنة الدولية ، التي سرعان ما حلَّت نفسها (15/ 5/ 1943).

ـــ **كما أن السرية وفرت حجة لمصادرة الديمقراطية داخل المنظمات الشيوعية** ، وتم استخدام هذا الغياب على نحو رديء، ما عرَّض الأقلية للا ضطهاد من قبل الأغلبية، وعزز الميل للانق سام، خاصة مع سيادة العنصر البرجوازي الصغير في عضوية المنظمات ، وهو الميَّال بطبعه للانشقاق ، بحكم نزقه وميله للبسطة أو الدكان الصغير ، على الدخول في شراكة في سوبر ماركت.

ـــ ظهور التروتسكية ، أواخر الثلاثينيات ، والماوية، أواسط الستينيات وفَّرا أرضية دولية للانقسامات.

ـــ علينا أن لا نُغفل دور **الضربات البوليسية ، والتراجعات** في تسعير الصراع الداخلي ، الذي لا يجد متنفسه في جو غياب الديمقراطية، فينفجر في صورة انشقاقات .

ـــ واليوم، ثمة العلنية، والثقافة النظرية الكافية، والخبرة الواسعة، والدروس المستفادة من عقم الانشقاقات ، والأهم من هذا كله الرؤية السياسية الواحدة للداخل، والإقليم، والخارج. فضلاً عن أنه لم يعد ثمة مكان ماوية والسوفييتية والتروتسكية.

ـــ يبقى أن الانتخابات النيابية الأخيرة (2011)كشفت مدى ضعف اليسار، بسبب تبعثره، ما دفعه إلى الارتباك في تحالفاته الانتخابية، الأمر الذي جعل من توحيد اليســار أمرًا ملحًا، لتحقيق الحضور السياسي اللائق به، ولأن التحالفات محكومة بميزان القوى. فضلاً عن أن وحدة اليسار من شأنها وضع حد للاعتكاف الذي اختاره بعض اليساريين، ناهيك عن أن وحدة اليسار ستعيد إليه هيبته . وسيركز اليسار كل جهوده ضد العدو ، والكف عن الاجتهاد في تأكيد تمثيل كل تنظيم ، دون غيره لليسار.

كيف يمكن تجاوز أزمة اليسار المصري

عبد الغفار شكر (التحالف الشعبي الاشتراكي)

تناول الأستاذ عبد القادر ياسين، وهو المؤرخ والباحث المدقق أزمة اليسار المصري من زاوية الانشقاقات التى تعر ضت لها التنظيمات اليسارية على مدار تاريخها ، باعتبارها العامل الأ سا سى فى هذه الأزمة . والحقيقة أن أزمة اليسار المصري لها أبعاد متعددة فكرية وسياسية ،وتنظيمية ، بل ربما تكون الانشقاقات نتيجة لعوامل أخرى حكمت مسيرة اليسار المصرى التى تقرب من المائة سنة . وفيما يلى نعرض لأهم هذه العوامل والأسباب التي ساهمت مجتمعة فى صنع أزمة اليسار :

أولاً : افتقاد الطابع المؤسسي للتنظيمات اليسارية :

والمقصـود هنا بالطابع المؤسـسـي أن يتكون التنظيم من هيئات حزبية قاعدية وقيادية، تربطها علاقات موضوعية، بصرف النظر عن أشخاص القائمين على هذه الهيئات،

وأن تكون هناك قواعد تحكم العلاقات بين هذه المكوِّنات تتحدد أدوار الأشـخاص على ضوئها . ولم يكن الحال هكذا فى التنظيمات اليسارية، حيث تحكمت فيها العوامل الذاتية وتغيرت بنية التنظيم وفق إرادة القيادات فى كثير من الأحيان، واتسع حجم الهيئات القيادية أو ضاق، حسب مجريات الصـراع بين هذه القيادات . ولم تكن هناك قواعد تحترم فى العلاقة بينها في ظروف العمل السري حيث يصعب على الأعضاء معرفة ما يجرى في التنظيم بما يجاوز حدود نشاطهم المباشر . ولعل افتقاد الطابع المؤسسى فى التنظيمات اليسارية هو السبب الأساسى للانقطاع في مسيرة اليسار المصـري في مراحل متعددة من تاريخه الطويل ، وما ترتب على ذلك من تبديد الخبرات المكتسـبة ،جيلاً بعد الآخر . على عكس ما حققته جماعة الإخوان المسلمين التى راكمت خبراتها جيلاً بعد الآخر وطورت تنظيمها في ضـوء ما تتعرض له من مخاطر، وتحديات وما تحققه من إنجازات، فضـمنت بذلك استمرار التنظيم فى أحلك الظروف ونقل الخبرة المحصَّلة من جيل لآخر ، مما ساعد على تطور نفوذها الاجتماعي والسياسي، مرحلة بعد أخرى .

ثانياً : الانقطاع وتبديد الخبرة فى مسيرة اليسار :

عجز اليسار المصري عن ضمان الا ستمرار في مسيرته وانتقال الخبرة من جيل لآخر ، بل إن الأجيال الجديدة لليسار المصري كانت تبنى تنظيماتها الجديدة من نقطة الصفر، وتنشط فى المجتمع في معزل عن خبرة الأجيال السابقة ، وفي كثير من الأحيان، كانت تمارس نشاطها في إدانة للأجيال السابقة عليها . نلاحظ ذلك عندما انتهت تجربة «الحزب الشيوعى المصرى»في العشرينيات من القرن العشرين بالتصفية الكاملة في منتصف الثلاثينيات عندما نجحت السلطات في ملاحقة أهم كوادره وإبعاد معظمهم عن ساحة النضال السيا سى وأ ضعفت بذلك الحزب إلى درجة كبيرة بل نجحت فى نهاية الأمر فى تجنيد السكرتير العام للحزب محمد عبد العزيز للعمل كعميل للبوليس السياسي فوضع الحزب، بذلك فى قبضة أجهزة الأمن وساءت سمعته، مما أدى إلى ابتعاد الكثيرين من المناضلين عنه، وتوقف نشاطه تقريباً في حقبة الثلاثينيات وتبددت الخبرة التى اكتسبها مناضلوه سواء في العمل الجماهيري ،

أو بناء ركائز قوية فى مناطق صـــناعية ، وفي الريف أيضـــاً والقدرة على النفاذ إلى فئات اجتماعية خارج دائرة العمال الصـــناعيين كطلاب الأزهر، والمدارس الثانوية، والفلاحين، كما تبددت المعارف السياسية التي حصلها بعض كوادره الذين درسوا في مدرسة كادحى الشرق بالاتحاد السوفييتى . هكذا تلاشى التنظيم الحزبى، وتوقف الكوادر عن النشاط وتبددت الخبرة المكتسبة . وعندما بدأت المرحلة الثانية فى نهاية الثلاثينيات ، بدأت بعناصـــر جديدة ، وأفكار جديدة، وتنظيمات جديدة، وخبرات جديدة ليس لها علاقة بما سبق فى تاريخ اليسار المصري . وتكررت نفس الظاهرة عندما تعرضت تنظيمات اليسار في نهاية الخمسينيات إلى محنة الاعتقال الشامل لكل أعضـــاء التنظيمات اليســـارية وكوادرهان تقريباً وإيداعهم المعتقلات والســـجون ، من 1959 إلى 1964 تعرضـــوا خلالها لأبشـــع أنواع التعذيب وانتهت هذه المرحلة بالتفاعل مع التطورات التى حققها نظام الحكم بقيادة . جمال عبد الناصر فى المجالين الوطني والاقتصادي الاجتماعي،

فقامت التنظيمات اليسارية بحل نفسها والاندماج كأفراد في تنظيمات السلطة ،وانتهت بذلك تنظيمات المرحلة ، وأطروحاتها، وخبراتها . وبدأت المرحلة الثالثة في تاريخ اليسار المصرى في نهاية الستينيات بتأسيس أحزاب جديدة، كانت الغلبة فيها لشباب السبعينيات وسط إدانة لقرار الحل وإدانة لمن قاموا بذلك وتأسس «حزب العمال الشيوعي المصري» «والحزب الشيوعي المصري 8 يناير » ،«والحزب الشيوعي المصري» في قطيعة مع الجيل السابق، وخبراته، رغم أن عدداً محدوداً منهم ساهم في التأسيس للمرحلة الجديدة ،ولكنهم لم يعكسوا عليها خبرات تذكر ، سواء فى مجال التنظيم، أو النضال السياسي الجماهيري ، أو على المستوى الفكرى . كان غياب المؤسسية ملمحاً بارزاً أيضاً فى هذه المرحلة من تاريخ اليسار ، بل وكان واضحاً أيضاً فى المرحلة الثالثة التى استمرت حتى الآن . ربما يكون حزب« التجمع الوطني التقدمي الوحدوي» قد قطع شوطاً هاماً على طريق بناء تنظيم مؤسسى لاتساع نشاطهن وزيادة عدد الأعضاء بدرجة كبيرة، وممارسة النشاط العلنى . ولكن هذا التطور الإيجابى لم يكتمل،

حيث اتجهت القيادة المتنفذة فى الحزب إلى الالتحاق بالسلطة في بداية التسعينيات على حساب مواصلة بناء الحزب كحزب جماهيري وتعميق طابعه المؤسسي والاهتمام بالكوادر وهى مهام كانت مطروحة بوضوح فى قرارات المؤتمر العام الثانى للحزب . وفي مجرى نضال اليسار المصري فى نهاية القرن العشرين توقف عن النشاط «حزب العمال الشيوعي المصري» ،« والحزب الشيوعي المصري 8 يناير » وتقلصت إلى درجة كبيرة دائرة نشاط، ونمو الحزب الشيوعي المصري نتيجة للتداخل بينه وبين «حزب التجمع» الذى امتص أهم كوادره ، نتيجة إغراء العمل العلني وجاذبيته . وها نحن نبدأ مرحلة جديدة من تاريخ اليسار المصري ،بعد ثورة 25 يناير وتأسيس أحزاب يسارية جديدة، وشبح الانقطاع وتبديد الخبرة يبدو ماثلاً للعيان . فهناك آلاف الشباب يتجهون إلى اليسار ، دون معرفة كافية بالقيادات الحالية ،ودون تقدير لدورها النضالى وتضحياتها الطويلة يساعد على ذلك أنها لا تلمس ما لديها من خبرة، ولا تجد تنظيمات تستوعبها .

ثالثاً : الطابع النخبوي للحركة :

رغم اتساع دائرة النشاط السياسي والجماهيري لليسار في بعض الفترات واقترابه من قطاعات جماهيرية كالعمال، والطلاب والمهنيين، فإن تنظيمات اليسار لم تنجح في إستيعاب هذه القطاعات وكسبها بأعداد كبيرة فى عضويتها . حدث ذلك في النصف الأول من العشرينيات ،وفى النصف الثانى من الأربعينيات وفى أوائل الخمسينيات والنصف الأول من السبعينيات وفى كل مرة تبددت الفرصة ، وبقيت حركة اليسار وتنظيماته في إطار نخبوي يضم عدداً من المثقفين الذين لا يستطيعون التفاعل مع الواقع بأفكار تتناسب مع المستوى الثقافي للجماهير ، والأهم من هذا أن تنطلق من اهتمامات الجماهير وتستطيع الارتقاء بوعي الجماهير . و ضاعت أكثر من فرصة كان اليسار على وشك التحول إلى تيار جماهيرى نتيجة عجز النخبة عن اختراق الحواجز التى تحول دونها ،وهذه الجماهير وبقيت العضوية فى معظمها فى دائرة البورجوازية الصغيرة، التى تتسم بالتذبذب فى مواقفها ،وتغلب عليها النزعة الذاتية ، فكانت بذلك مصدراً أساسياً للانشقاقات التي عانى منها اليسار، على امتداد تاريخه الطويل .

رابعاً : الانشقاقات :

عالج الأستاذ عبد القادر ياسين هذه الظاهرة ، بقدر كاف من التفصيل، وأرجعها إلى غلبة العناصر البورجوازية الصغيرة في القيادة والعضوية ، ولكنها كانت فى الحقيقة، نتيجة للعوامل الثلاث التى أشرت إليها وهى : افتقاد الطابع المؤسسي للتنظيم ، والانقطاع وتبديد الخبرة جيلاً بعد جيل ، والطابع النخبوي للحركة .

ولعل السؤال الجدير بالمناقشة هنا :كيف يتجاوز اليسار المصري أزمته ؟ وكيف يخرج اليسار المصري من أزمته ؟ خاصة وأن ثورة 25 يناير خلقت واقعاً جديداً في مصر حيث ينجذب إلى العمل العام والاهتمام بقضايا المجتمع والرغبة فى المشاركة فى النضال من أجل بناء مستقبل أفضل ملايين المصريين أثبتوا خلال عام كامل أنهم مستعدون للمشاركة ومستعدون للتضحية من أجل تغيير أوضاعهم يرفعون رايات الثورة وشعارات الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية وهى شعارات اليسار المصري التى طالما طرحها ودخل مناضلوه السجون من أجلها .

ومعظم هؤلاء الوافدين الجدد إلى ساحة النضال السيا سي من الشباب، بل ومن مرحلة ما قبل الشباب ، فهل يغتنم اليسار المصري هذه الفرصة، ويتخلص من أمراضه فيعيد بناء نفسه من جديد كتيار جماهيري يضم فى صفوفه مئات الألوف من الأعضاء بما يتناسب مع حجم القوى الاجتماعية التى يدافع عن مصالحها ، والتي تشكل أغلبية المجتمع المصرى ؟

الحقيقة أن اليسار المصري لديه الآن، من القيادات والمناضلين ومن التنظيمات، ومن العلاقات الجماهيرية، ما يمكِّنه بالفعل من تحقيق هذا الإنجاز . ومن المهم أن أشير هنا إلى أن تعدد الأحزاب والتنظيمات اليسارية لا يحول دون ذلك، وأنا شخصياً لا أنظر إلى التعددية باعتبارها انشقاقات أو انقسامات، بل هى تعبير عن تفاوت الوعي في صفوف اليسار المصري وتنوع المنابع الاجتماعية للقادة والأعضاء ، والنظر إلى أزمة اليسار المصري والخروج منها من زاوية توحيد تنظيمات اليسار فقط، هو موقف مثالي يتجاوز الواقع

ولا يمكن تحقيقه بمجرد الرغبة فيه . بل يتطلب الآمر التنسيق بين هذه الأحزاب والتنظيمات في النضال السياسي ، حول أهم قضايا المرحلة والعمل المشترك، دفاعاً عن مصالح الجماهير ومن أجل تحقيق أهداف الثورة ، وفي مجرى النضال السياسي يمكن أن تتحقق إحدى نتيجتين :

الأولى : تعميق الثقة المتبادلة بين مناضلى الأحزاب والتقارب بينهم فى الخبرة النضالية والأهداف المشتركة والرؤية السياسية ، وعلى ضوء ما يتحقق في هذا المجال يمكن أن تتوحد هذه الأحزاب أو تندمج مع بعضها .

الثانية : نجاح أحد هذه الأحزاب في اختراق الحركة الجماهيرية وتحوله إلى حزب جماهيري يضم عشرات الألوف من الأعضاء، وفى هذه الحالة سيكون هو الحزب الرئيسي لليسار المصري إلى جواره أحزاب أخرى صغيرة تعبِّر عن التنوع الطبيعي فى صفوف القوى الاشتراكية بين يمين ويسار ،

وهذا هو حال اليسار فى معظم بلاد العالم الديمقراطية، حزب يساري كبير وإلى جواره مجموعة أحزاب صغيره على يساره ، وعلى يمينه، وفي اعتقادي أن أهم العوامل التي يمكن أن تحقق لحزب ما هذا التطور نحو الجماهيرية، هي :

- القدرة على **كسب الشباب** ، بأعداد كبيرة فى عضويته .

- تطوير خطابه السياسي ، بما يلبي احتياجات المجتمع وطرح حلول حقيقية لمشاكل المجتمع وتعبئة الجماهير حوله .

- **تطوير مناهج الاقتراب من الجماهير** ، لتجمع بين المدخل الفكري ، والمدخل النضالي السياسي، والمدخل الاجتماعي .

- بناء الحزب ، كمؤسسه توفر بنية تنظيمية ديمقراطية منفتحة على الحركة الجماهيرية،

والاستفادة من هذا التطور ، للتحول من حزب نخبوي إلى حزب جماهيري يستند على ركائز قوية فى النقابات العمالية، والمهنية، والجمعيات التعاونية ، والجمعيات الثقافية، والاتحادات الطلابية .- ممارسة سياسة **تحالفات صحيحة** .

وهناك تفاصيل كثيرة يمكن تناولها في مناسبة أخرى حول كل عامل من هذه العوامل .

أزمة اليسار بين الماضي والحاضر صلاح عدلي (الحزب الشيوعي)

تأتي أهمية هذه الندوة ، التي تناقش أزمة اليســار ، في أنها تعقد بعد مرور عام من اندلاع الثورة المصــرية ، في 25 يناير 2011 ،والتي لا يزال الصــراع مســتمراً من أجل اســتكمالها ، وتحقيق أهدافها ومهامها الأساسية.

ولقد ناقشت قوى ورموز اليسار «أزمة اليسار» في العديد من الندوات خلال الأعوام الما ضية ،وعقدت في مقر مركز آفاق اشتراكية« ندوة واسعة شارك فيها أكثر من عشرين من رموز ومفكري وقادة اليسار، من تياراته المختلفة ، على مدار ثلاثة جلسات ،وذلك في إطار التحالف الا شتراكي، عام 2010 تحت عنوان «كيف يصــبح اليســار قطباً فاعلاً في الحياة الســياســية المصــرية؟» .وقد تناولت النقا شات الأ سباب المو ضوعية والذاتية لأزمة اليسار، وهل هناك إمكانية حقيقية لتجاوز هذه الأزمة؟، وما هي الآليات والأدوات الضرورية لتفعيل دور اليسار ، حتى يصبح قطباً فاعلاً.

ولقد قرأت بعناية ورقة الأستاذ عبد القادر ياسين ، وأنا أعتقد أن البعد التاريخي الذي ركزت عليه الورقة هو عنصر هام لفهم أزمة اليسار الحالية، لكنه قاصر عن استيعاب الصورة الكاملة التي تتيح فهم أحوال اليسار في الظروف الحالية. وذلك لأن الأزمة الحالية للقوى الا شتراكية وللحركة الشيوعية تختلف كثيراً عن المشاكل والصعوبات التي عانى منها اليسار في مراحل نضاله السابقة ، في العشرينيات والأربعينيات والخمسينيات وفي السبعينيات، وأهمها الانقطاع ،والانقسامية ، وضعف الوعي النظري ، وغلبة عناصر البرجوازية الصغيرة داخل قياداته، وعدم الربط الجدلي بين جوانب النضال الثوري الوطني والديمقراطي والاجتماعي.. وغياب الطابع المؤسسي لمنظمات اليسار، الذي أ شار إليه أ. عبد الغفار شكر في ورقته، وأخيراً فإن أحد أوجه القصور الأ سا سية في هذه المراحل التاريخية هي عدم طرح اليسار «لمسألة السلطة» ،في نضاله المباشر والجبهوي

مع التأكيد على طبيعة المرحلة الثورية وهي مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التي لانزال نخوض غمارها ،حتى الآن. ورغم كل هذه السلبيات والمصاعب ، فإن الحركة الشيوعية كان لها إنجازات عظيمة ، وقدمت تضحيات جسيمة في سبيل الدفاع عن الوطن والطبقة العاملة والمبادئ الاشتراكية.

إلاّ أن الفارق الجوهري بين هذه المراحل التاريخية والمرحلة المعاصرة التي بدأت من منتصف السبعينيات من القرن الماضي هو أن نضال اليسار المصري في المراحل التاريخية السابقة ،كان يتم في إطار مد ثوري وتحرري وطني في العالم والمنطقة ، بينما دخل اليسار المصري بل والقوى التقدمية في المنطقة العربية والعالم مرحلة جذر منذ النصف الثاني من السبعينيات لها أسبابها الموضوعية ، التي لا يمكن إغفالها كما أن لها أسبابها الذاتية،أيضاً...

ولقد كانت ذروة قاع هذا الجذر انهيار الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي ، في بداية التسعينيات وانفراد الولا يات المتحدة والامبر يالية العالمية بقيادة العالم ، في إ طار العولمة الرأ سمالية المتوح شة ،التي ظهرت منذ بداية الثمانينيات من القرن الما ضي، وتـ سيد سيا سات الليبرالية الجديدة التي فرضت توجهاتها من خلال مؤسساتها العالمية..

وفي إطار هذه المرحلة من الجذر الثوري عانى الشعب المصري من حالة الردة الشاملة ،منذ منتـ صف الـ سبعينيات ، نتيجة تراكم وتـ ضافر عدد من العوامل التي أحدثت خللاً كبيراً في توازنات المنطقة ، بعد انهيار حركة التحرر الوطني العربية ، وتوقيع نظام السادات اتفاقيات الصلح المنفرد مع العدو الصهيوني ووضع كل أوراق اللعبة في يد أمريكا ، وخروج مصر بكل ثقلها من دائرة المواجهة مع إ سرائيل وأتى هذا التحول على أ ساس التحول الاقتـصادي والاجتماعي لـسيا سات الانفتاح الاقتصادي ، وتدبير الصناعة الوطنية ، والزراعة ، والقطاع العام ،

وتشريد الطبقة العاملة المصرية ، وبداية انهيار الخدمات الصحية والتعليمية. وهجرة الأيدي العاملة إلى الخليج، وأدى كل ذلك إلى انتقال زمام المبادرة في قيادة المنطقة إلى الدول العربية الرجعية والمحافظة ،بقيادة السعودية ،وتصاعد تيار الإسلام السياسي بكل أجنحته والمدعوم بقوة من الأنظمة الحاكمة المستبدة والرجعية ، لمواجهة القوى اليسارية والتقدمية والديمقراطية وخدمة مشروع الإمبريالية العالمية وتسيَّدت فئات من الرأسمالية الكبيرة والطفيلية والريعية ،التي أدمجت اقتصاديات البلاد في العولمة الرأسمالية مما أدى إلى تكريس التبعية والتخلف الاجتماعي والثقافي، ولقد كان لهذه العوامل الموضوعية ، دون شك دور كبير في إضعاف وتهميش دور اليسار المصري.. ولابد من إدراك هذه الأوضاع وفهمها حتى يمكن تقييم دور اليسار بموضوعية.

ولكن لا يجب أن ننظر إلى تلك الظروف الموضوعية ، رغم أهميتها ، كمبرر لإعفاء قيادات وأحزاب اليسار من مسئوليتها في التصدي لها، وعدم استغلالها هذه الفترة للتحضير ، فكرياً وسياسياً وتنظيمياً للمرحلة الجديدة التي بدأت منذ الألفية الثالثة لبداية موجة مد ثورية وتحررية في المنطقة والعالم،

والتخلص من السلبيات التي عانى منها اليسار تاريخياً والتي لا يزال بعضها ،تؤثر بشكل سلبي على ممارســاته في الفترة الحالية وزاد عليها تخلف اليســار عن مواكبة التطورات النوعية الجديدة التي حدثت بفعل الثورة العلمية والتكنولوچية ،وثورة المعلومات والاتصــالات وشــاخت معظم قياداته ولم يســتطع تجديد دمائه وفكره ، بشــكل يســتطيع مجاراة القوى المعارضــة المناهضــة له وخاصــة تيار الإســلام الســياســي، كما أنه لم يســتطع توحيد جهوده ،وصــقل أدواته ، للاســتعداد للمرحلة الثورية الجديدة التي لاحت بوادرها منذ عدة سنوات ،ولم يسع إلى ا ستعادة دوره كقطب فاعل وبديل للســلطة المســتبدة ،وابتعد عن حافلة الاجتماعي الأســاســي(العمال والفلاحين) و ضعف تأثيره و سط المثقفين والمهنيين والشباب والطلاب .. لا شك أن حزب التجمع وقياداته المنفِّذة يتحمل مسئولية أساسية في إضعاف وجود اليسار وتشويه صورته الذهنية لدى الجماهير، بسبب الممار سات والمناورات مع السلطة وإ صراره على التحالف مع قوى المعار ضة الشرعية التي ارتضت دور الكومبارس في مسرحيات النظام الهزلية. بديلاً عن تحالفه مع قوى اليسار وقوى التغيير في المجتمع ،عشية الثورة.

ومن ناحية أخرى لم تستطع قوى اليسار الراديكالي، أن توحد جهودها ، دلاً من تمحورها حول ذاتها واستغراقها في النقاشات العقيمة مما أضاع على اليسار فرصة تاريخية للعب دور مؤثر وفعال في ثورة 25 يناير ، رغم مشاركة بعض أطرافه ورموزه في الثورة بشكل فاعل ،منذ أول يوم فيها.

ورغم ذلك ، وحتى لا نكون مبالغين في جلد الذات، فأنه لا يمكن إنكار نضالات الشيوعيين والقوى والشخصيات اليسارية في معظم الفعاليات الجماهيرية التي أحدثت تراكماً حيوياً لإنضاج الفعل الثوري منذ عام 2000 وحتى اندلاع ثورة 25 يناير 2011. فقد تشكلت «اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة الفلسطينية» في خريف عام 2000 ، بمبادرة من عدد من رموز اليسار واستطاعت إنجاز أكثر من 18 قافلة شعبية لمساندة الشعب الفلسطيني، بالمواد الغذائية والطبية كما أنها دعت إلى مظاهرة يوم 10 سبتمبر 2001،في ميدان التحرير كانت أول مظاهرة تكسر الخطوط الحمراء لمنع التظاهر ضد أمريكا وإسرائيل،والمطالبة بسحب السفير المصري من إسرائيل

ووقف التطبيع كما ابتكرت هذه اللجنة أسـلوب الوقفات الاحتجاجية والوفود الشـعبية، كما لعب اليسار دوراً مؤثراً في الحركة السياسية للمطالبة بالإصلاح السياسي والديمقراطي، من خلال تشـكيل اللجنة الشـعبية من أجل التغيير «الحرية الآن» التي جاءت متزامنة مع حركة «كفاية»، كما كان لليسار دور بارز في إضراب عمال غزل المحلة في خريف عام 2006 ،والذي كان نقطة تحول هامة في دخول الطبقة العاملة والفئات الشـعبية في سـلسـلة من الاحتجاجات الاجتماعية التي اجتاحت البلاد منذ عام 2007 وحتى قيام الثورة ،والتي لا تزال مستمرة بفعالية حتى الآن.

ولقد كانت هناك في هذه الفترة محاولات دؤوبة لتوحيد جهود اليسار حيث سعت قوى ورموز اليسـار في الدعوة لملتقى اليسـار، الذي تطور إلى «التحالف الاشـتراكي» عام 2007 ،وضـم كل أطراف اليسـار ،والعديد من الشـخصـيات العامة اليسـارية ، ورغم أن هذا التحالف لم ينجح في التحول إلى تحالف سياسي وجماهيري فعال

إلاّ انه اســتطاع جمع كل أطراف اليســار للحوار والنقاش حول مائدة واحدة دون تخوين أو مزايدات ،واســتطاع أيضــاً القيام بدور مؤثر في توحيد جهود اليســار العمالي في معركة الحد الأدنى للأجور، وإقامة عدد من الندوات الهامة ،وعقد مؤتمرات احتفالية في عيد العمال.

وبعد الثورة مباشرة حاولت قوى اليسار تجميع صفوفها تحت اسم «جبهة القوى الاشتراكية» ،و ضمت أحزاب التحالف الشعبي والشيوعي والا شتراكي ومنظمة الا شتراكيين الثوريين إلاّ أن بعض الأطراف رأى أولوية التركيز على بناء أحزابه وإشهارها، عن النشاط في هذه الجبهة.

وأخيراً ،تشكلت «اللجنة التنسيقية للقوى الاشتراكية والشعبية» عشية التحضير لفعاليات ذكرى مرور عام على الثورة المصــرية .. ونحن نســعى مع باقي الأطراف لتفعيل دور هذه اللجنة وتطور عملها دون استيعاد أي طرف من الأطراف ،والسعي إلى أن نصبح إطاراً للعمل المشترك ، وتوحيد المواقف والجهود في المعارك المقبلة.

ونحن في الحزب الشيوعي المصري كنا ولا نزال نرى ضرورة توحيد جهود قوى اليسار ولقد كانت مجلة «آفاق اشــتراكية» منبراً لكل قوى اليســار ، وكانت ندواتها في الأعوام التســعة التي صدرت حريصة على مشاركة كل الأطراف والشخصيات المؤثرة في اليسار المصري.

وأود في هذا الصدد أن أؤكد على إدراكنا لمسألة التعددية داخل اليسار ،وأنها تعبير عن حيوية وتنوع وغنى الفكر اليساري، ولكن شريطة أن تكون هذه التعددية وسيلة لتجميع قوى اليسار والثورة. خاصة وسط العمال والطلاب والشباب والكادحين والمثقفين وأن تسعى باستمرار لجذب العناصر الجديدة التي تموج بها الساحة السياسية بعد الثورة ، بدلاً من السعي لتشويه بعضها البعض، وإحداث انشقاقات في صفوفها بين الشباب لأن ذلك سوف يكون خصماً من رصيد اليسار وليس إضافة لقواه في مواجهة خصومه، خاصة في هذه المرحلة التي تشكل فيها قوى الرأسمالية الكبيرة ، بمختلف تجلياتها السياسية ، سواء كانت دينية أو ليبرالية، بالإضافة إلى قوى الثورة المضادة والنظام السابق، التي تعيش في كل أركان مؤسسات الدولة.. تلك القوى التي تشكل تحدياً كبيراً لقوى اليسار ، والقوى الوطنية ، والتقدمية ،

والديمقراطية في المعارك الهامة المقبلة ،معركة انتخابات الرئاسة، ومعركة الدستور، ومعركة النضال من أجل تغيير النهج الاقتصادي بشكل جذري، لتحقيق العدالة الاجتماعية..

تلك التحديات التي تنقل الصراع الطبقي الذي يدور بشكل خفي، الآن إلى أرضية الصراع المباشر والمكشوف، مما يؤدي إلى انتقال الثورة إلى مهام الثورة الاجتماعية والنضال من أجل بلورة مشروع وطني لتحقيق تنمية سياسية، واقتصادية واجتماعية، وثقافية شاملة، وإنقاذ الثورة من مؤامرات إجهاضها.

دور الأجانب في الحركة الشيوعية المصرية وفي أزمتها

سعد الطويل (الحزب الاشتراكي)

الأجانب في مصـر: بدأ الأجانب يفدون إلى مصـر منذ حكم محمد على في أوائل القرن التاسـع عشـر مع بداية حركة التحديث فقد اسـتعان بهم لبناء الصـناعة ومنشـآت الري كالقناطر الخيرية، وإنشاء كلية الطب الخ. ومع المهندسين حضر العمال الفنيون، إلى جانب بعض المغامرين.

وازدادت أعدادهم مع حركة التحديث التي قام بها إسـماعيل خلال الربع الثالث من القرن. وحيث إن هذه الحركة شملت الصناعة (مثل صناعة السكر) وتعمير المدن إلى جانب مد السكك الحديدية، فقد احتاجت إلى المزيد من المهندسـين والعمال الفنيين. وجاء أكثر هؤلاء من إيطاليا واليو نان، إلى جا نب الفرنسـيين وبعض الألمان والإنجليز (وأغلب المهندسـين من هؤلاء الأخيرين).

ومع الاحتلال البريطاني لمصـــر، زادت أعداد الأجانب، ومنهم من اشـــتغل بتجارة القطن وصـــناعات أخرى اســـتجدت كحلج القطن، واســـتخراج الزيت، والســـجاير، وغيرها، وكذلك الخدمات البحرية للسفن عابرة قناة السويس.

ويقدر البعض عدد الأجانب في مصر في أربعينيات القرن العشرين بحوالي نصف مليون،

وكان عدد اليهود في مصـــر في ذلك الوقت حوالي 50 أو 60 ألفاً، أكثرهم يتمتعون بالجنســـية المصرية، إما لأنهم يعيشون في مصر منذ مئات السنين، أو لأنهم مثل الكثير من المسيحيين من الشـــام (ســـوريا ولبنان)، قد جاءوا لمصـــر هرباً من الاضـــطهاد التركي، وهؤلاء اكتســـبوا الجنســـية المصـــرية بصـــفتهم من الرعايا العثمانيين الســـابقين. ومع ذلك فقد آثر بعض هؤلاء الاحتفاظ بجنسيات أوروبية مختلفة ليستفيدوا من الامتيازات الأجنبية.

دور الأجانب في بدايات الحركة العمالية

نظراً لأن الأجانب كانوا هم الذين بدأت بهم الصناعات المصرية النا شئة، فقد كان من الطبيعي أن يكونوا على رأس الحركات العمالية عند نشأتها، سواء في تأ سيس نقابات أو القيام بالإ ضرابات الأولى في تاريخ الحركة العمالية، مثل إضرابات عمال السجائر في تسعينيات القرن التاسع عشر.

وعندما تأسس الحزب الشيوعي المصري عام 1922، كان من الطبيعي أن يكون في قيادته بعض هؤلاء الأجانب، مثل مارون أنطون (شامي)، ويوسف روزنتال وزوجته. ومع ذلك فقد كان الحزب حريصاً على إبراز اسم حسني العرابي في القيادة.

الحزب الشيوعي بعد 1924

وبعد حل الحزب في عام 1924، وإلقاء قيادته في السجن، على يد سعد زغلول، ا ستمر الحزب يعمل في سرية، وا ستمرت مدام روزنتال، واليوناني ياناكاكيس، ضمن قيادته، إلى أن نجح البوليس في تسريب العميل محمد عبد العزيز الذي أُرسل لموسكو للدراسة هناك

ثم عاد ليسـلِّم القيادة بالكامل، ومعها أحد مندوبي الكومنترن للبوليس! ونتيجة لذلك طُرد الحزب الشيوعي المصري من عضوية الكومنترن، وأدى هذا لعدم قيام حزب شيوعي مصري لحين إلغاء الكومنترن عام 1942، فقد كانت جميع الأحزاب الشـيوعية حتى ذلك الوقت تُعتبر فروعا للأممية الدولية (الكومنترن) وليست أحزاباً مستقلة.

***

بول جاكو وعصبة السلام

ضـعف نشـاط الحزب كثيراً بعد ذلك، وتكاد لا توجد أدلة على هذا النشـاط فيما عدا أن بعض الأعضاء القدامى استمروا متمسكين بمبادئهم واتصلوا بالحركات الجديدة في الأربعينيات.

وفي منتصف الثلاثينيات أنشأ بول جاكو وهو مهندس سويسري مسيحي عصبة السلام في خضم التهديدات بالحرب من جانب ألمانيا النازية، وازدهار حركة السلام في أوروبا. وكان جاكو ماركسياً، وكون حلقة صغيرة من يوسف درويش، وصادق سعد، وريمون دويك (والثلاثة يهود مصريون)،

ومعهم يوناني ا سمه زيرجوبولو، وان ضم لهم لبعض الوقت مار سيل إزرايل. ولكن جاكو كان يفصـــل تماماً بين هذا النشـــاط وبين حركة الســـلام التي جمعت حوله عدداً كبيراً من المصـــريين، وحيث أجرى تعارفاً بين نهرو أثناء مروره بمصـــر، وبين النحاس باشـــا زعيم الوفد. وعندما قامت الحرب عام 1939، أوقف نشـــاط حركة الســـلام، وتحولت إلى مركز ثقافي له فرعان، في القاهرة والإسكندرية.

ولكنه استمر يقود الحلقة الماركسية، وإن كان زيرجوبولو انسحب منها لينضم للحزب اليوناني أما الثلاثة الباقون فقد اســـتمر معهم حتى 1944، عندما طلب منهم الاســـتقلال بالعمل حيث إن مهمته قد انتهت بالنســـبة لهم. وكانوا في ذلك الوقت قد كونوا علاقات واســـعة نســـبياً، مع بعض العمال، والمثقفين، حيث قرروا في 1946، عقد المؤتمر التأســـيســـي لمنظمة الطليعة الشـــعبية للتحرر التي عرفت كذلك بالفجر الجديد (المجلة التي أصدرتها).

1942، وتكاثر المنظمات الشيوعية

في عام 1942، كان هناك تهديد واضــح من ألمانيا بغزو مصــر والذي انتهى بهزيمة روميل في العلمين، وفي تلك الســنة ســارت بعض مظاهرات الطلبة الأزهريين، بتشــجيع من الملك فاروق، تهتف «إلى الأمام يا روميل»، كما قام بعض الضباط بقيادة عزيز المصري بمحاولة الهروب إلى ليبيا والانضمام للألمان. وفي العام نفسه هُزم الألمان في معركة ستالنجراد، وارتفعت سمعة الاتحاد السوفييتي عالية. وفي ظل هذه الأوضاع نشأت أكثر من منظمة شيوعية، وتوسعت بانضمام أعداد كبيرة من الأجانب (والكثير منهم يهود). فإلى جانب منظمة «تحرير الشــعب» بقيادة مارســيل إزراييل (وهذه كانت مصــرية إلى حد كبير)، والفجر الجديد (المشــار إليها)، قامت منظمة إســكرا بقيادة هليل شفارتس (وكانت تضم مثقفين مصريين وأجانب ويهود وقليل من العمال)، والحركة المصرية للتحرر الوطني (ح.م. وتضم قليلاً من اليهود،

إلى جانب عدد من العمال وبعض الفلاحين، وبعض ضباط الجيش، ويقودها هنري كورييل). وكان هناك عدد من المنظمات الصغيرة مثل «منظمة القلعة»، و«طليعة الإسكندرية»، و«العصبة الماركسية»، وجميعها تضم مثقفين مصريين والقليل من العمال.

وبانتهاء الحرب عام 1945، ارتفع المد الثوري وازداد ارتباط هذه المنظمات بجماهير الطلبة والعمال، خا صة مع تكون لجنة الطلبة والعمال التي تأ سست عام 1945، وقادت مظاهرات 21 فبراير 1946، وكانت تضم الكثير من أعضاء مختلف المنظمات الشيوعية. وفي مواجهة هذا الزخم الشديد للحركة الوطنية بقيادة شيوعية وا ضحة، قام إ سماعيل صدقي بالقبض على زعماء الطلبة والعمال من الشيوعيين، وعدد من المثقفين فيما عرف بقضية الشيوعية الكبرى، وأغلق الصحف، ودار الأبحاث العلمية (التي أسستها إسكرا).

مرحلة 1947-1949

كان فصل الحزب الشيوعي المصري الأول من جانب الكومنترن كما أسلفنا، هو الذي منع من ادعاء أي من التنظيمات التي نشأت أنها «الحزب الشيوعي المصري»، وهذا سمح لكل من أنشأ تنظيماً أن يفعل ذلك دون الخوف من الاتهام بالخروج على الحزب، وتلك اكبر الكبائر في ظل الجمود الستاليني السائد في ذلك الوقت. ولكن هذه الكثرة من المنظمات الشيوعية كانت تصيب الأعضاء بالإحباط، كما كانت تؤثر على كفاءة العمل الجماهيري، حيث يحدث أحياناً تضارب في الرأي بين أناس المفروض أن وجهات نظرهم واحدة. وفضلاً عن ذلك حدث ضغط من الأحزاب الشيوعية في الخارج بضرورة توحيد الصفوف، خاصة وقد تبين أن الشيوعيين صاروا قوة سياسية يحسب لها حساب، وتشارك في بعض الأنشطة الدولية لما بعد الحرب.

وهنا حدثت الوحدة بين منظمات «تحرير الشعب»، وإسكرا، و«ح. م.»، وهي أكبر المنظمات القائمة، لتكوين «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني» (حدتو). ومع أن المنظمة كانت تضم ما قد يصل إلى 1500 عضو، ثلثاهم على الأقل، من المصريين، مثقفين وعمال، إلا أن القيادة بقيت في يد هنري كورييل، وهليل شفارتس اليهوديان الأجنبيان بحكم قيادتهما للمنظمات الأصلية، ورغم رفض مارسيل إزراييل أن يكون عضواً في اللجنة المركزية لاقتناعه بأنه من غير المناسب في بلد كمصر أن تكون قيادة أكبر منظمة شيوعية في يد أجانب ويهود (وكانت مشكلة اليهود في فلسطين تفرض نفسها على الحركة الوطنية والشعب المصري في تلك الفترة).

والواقع أنه فيما عدا مارسيل إزراييل، كان جميع الباقين يبدون تمسكاً واضحا باستمرار قيادتهم لمنظماتهم وإن اختلفت التكتيكات المؤدية لذلك. ففي إسكرا كان شفارتس يدافع عن نظرية تقول إن الحركة الشيوعية هي من إنتاج الدراسة العلمية للمجتمع،

وإنها لكي ترتبط بحركة الطبقة العاملة المصـــرية يجب أن تمر بمراحل ثلاث: أولاً تصـــل إلى المثقفين الأجانب بحكم أنهم على اتصال بالثقافة الأجنبية التي أنتجت هذه النظرية، وعن طريقهم تصـــل إلى المثقفين المصـــريين، ثم في مرحلة ثالثة تصـــل إلى العمال. وتطبيقاً لهذه النظرية ركزت إسكرا على الدراسات النظرية (للمثقفين المصريين بصفة خاصة)، وأنشأت دار الأبحاث العلمية، ولهذا توســـعت في تجنيد الطلبة والمثقفين. أما «ح. م.»، فجندت العمال، ولكن كورييل اكتفى بإعطائهم معلومات سطحية، محتفظاً بالمعرفة النظرية لنفسه، وبذلك ضمن ا ستمرار قيادته من جهة، والتعلق الشديد بشخصه من جهة أخرى. ولهذا سمح لنفسه (ووافقه الكثير من رفاقه) أن يتصدى لقيادة الشعب المصري حتى بعد إبعاده عن البلاد. وكان تصرف الرفاق الثلاثة اليهود في قيادة الديمقراطية الشعبية قريباً من ذلك، فيما عدا أنه لم يكن من الممكن إبعادهم من البلاد بحكم أنهم مصريين، فقد كان العمال يشاركون في جميع أنشطة التنظيم لسنوات،

ويدفعون الا شتراك وهم مجرد مر شحين للعضوية! وحتى بعد انفجار أزمة حدتو، ثم تأ سيس المنظمة الشيوعية المصرية التي ضمت أغلب أعضاء حدتو السابقين، تمسك الرفيقان اليهوديان في القيادة (سـليم سـالومون، وأوديت حزان)، بشـكل جامد بتركيز كل النشـاط على التجنيد بين العمال لتلافي أخطاء التنظيم السابقة، مما أدى لسقوط الكثير من الأعضاء في يد الشرطة، مع تركيز جميع السـلطات في يدهما. وعندما ألقي القبض عليهما، رغم الحرص الشـديد في إجراءات الأمان، اهتز التنظيم كثيراً، وعندما أبعدا في النهاية خارج البلاد، انهارت المنظمة عملياً، رغم بقاء عدد كبير من الأعضاء القدامى بها، وكانوا يلتقون ويتناقشون ولكن دون نشاط عملي تقريباً.

ولا يعني هذا أن وجود الأجانب في قيادة جميع المنظمات الشـيوعية تقريباً هو السـبب الوحيد لانتشار ظاهرة الانقسامية في الحركة الشيوعية المصرية، وإن كان لعب دوراً في ذلك. فقد كان في القيادة كثير من المصريين، مثقفين وعمالاً، وكان عليهم أن يحملوا المشعل

بعد تقاعس المؤسسين الأجانب أو رحيلهم. وليس غريباً أن أول انقسام في حدتو حدث في أوائل عام 1948، بقيادة شهدي عطية، وأنور عبد الملك، مما يوحي بأن «التكتل» لم يحدث بسبب الأسباب السياسية التي قدمها فقط، وإنما كان تعبيراً عن نوع من التمرد على احتكار القيادة لحساب اليهود والأجانب. وبعد «التكتل الثوري» استشرت الانقسامات في حدتو، ففصل نصف اللجنة المركزية النصف الآخر، فكونوا «حدتو- العمالية الثورية». ثم قامت « صوت المعار ضة» ودعت إلى قيام القاعدة المشتركة، أي بقاء جميع الأعضاء معاً ومناقشة آراء جميع القيادات، ثم عقد المؤتمر واختيار القيادة الجديدة التي تكسب رأي الأعضاء إلى وجهة نظرها. وفعلاً التقت أغلبية من لم يتساقط من أعضاء حدتو حول هذه الفكرة، وفي النهاية، عقد المؤتمر في أوائل 1949، وتكونت على أساسه المنظمة الشيوعية المصرية (م.ش.م.).

واستمرت الأوضاع الانقسامية التي لعبت دوراً كبيراً في أزمة الحركة، ويرجع جزء كبير من استمرار هذه الأوضاع للتكوين الطبقي البرجوازي الصغير لأغلب الأعضاء، وكذلك للتقاليد الانقسامية التي سادت للأسباب السالفة وغيرها. وطبعا لعبت سياسة الكبت المعادي للديمقراطية التي ورثتها البرجوازية المصرية بجميع أقسامها عن الاستعمار الدور الرئيسي في تفاقم الأزمة، وذلك سواء عندما كانت تعمل في ظل الاستعمار قبل 1956، أو حتى بعد استكمال الاستقلال، بل قد زادت ضراوتها بعد ذلك. ولا ننسى أن من وجه للحركة الشيوعية ضربات قاتلة كان الزعيم الوطني سعد زغلول في 1924، والبطل الوطني عبد الناصر في 1959، وكل منهما كان القائد الأوحد للطبقة البرجوازية في حينه.

أزمة فلسطين وأثر وجود الأجانب في القيادة

وهنا يجب أن ندرس أثر وجود الأجانب، وبصفة خاصة اليهود على موقف الحركة الشيوعية المصرية من القضية الفلسطينية، وقد كان محل جدل طويل.

بداية يجب أن نقرر أن الشيوعيين الأجانب في مصر كانوا ينقسمون لعدة فئات. فكانت هناك فئة من الشيوعيين الأجانب التي جاءت لمصر للعمل لفترات مؤقتة (مدرسون وصحفيون، في الأغلب إنجليز وفرنسيين)، وهؤلاء كانوا يعتبرون أن واجبهم هو أن ينقلوا لطلبتهم وأصدقائهم النظرية الماركسية التي عرفوها في بلادهم، ولكنهم لم ينضموا رسمياً للتنظيمات الموجودة، وإن كانوا تعاونوا معها. والفئة الثانية كانت من الجاليات الكبيرة مثل اليونانيين والإيطاليين، وهؤلاء انتظموا غالباً في منظمات خاصة بهم اعتُبِرت عادة فروعاً لأحزابهم الوطنية، وسافر أغلبهم لبلادهم بعد انتهاء الحرب، للانضمام لأحزابهم، وقد تعاونوا مع الشيوعيين المصريين. وانتظم أعضاء الجاليات الصغيرة مثل اليوغسلاف في منظمات مصرية لحين مغادرة البلاد. والفئة الثالثة التي تُضَم عادة إلى الأجانب هي اليهود، والأغلبية الساحقة من هؤلاء من المصريين منذ أزمان بعيدة، أو من المتمصرين قريباً (مثل اللاجئين الشوام)،

وهؤلاء كانوا يحر صون على الجنسية المصرية، وإن كان الكثير منهم ثقافتهم أجنبية، ويعملون في الشـركات الأجنبية المنتشـرة في مصـر. وما يخلق الكثير من الالتباس بالنسـبة لهؤلاء هو أن أغلبهم تركوا البلاد بعد قيام إ سرائيل، وخا صة بعد عدوان 1956، وأكد ذلك للبعض أن هويتهم كانت أجنبية.

وقد كانت الحركة الصهيونية نشطة جداً في مصر، قبل وخلال الحرب، وكانت تحاول اجتذاب اليهود المصريين للذهاب لفلسطين، ولكن قلة فقط هي التي فعلت ذلك، فقد كانت أو ضاعهم في مصـر حسـنة بوجه عام، ولم يكن هناك ما يغريهم بالذهاب لبلد لا يتقبلهم أهله كما أثبتت ثورات العرب الفل سطينيين المتتالية. ومن ترك منهم م صر فقد هاجر لأمريكا، وخا صة ال صهاينة. وكان يقال إن الصـهيوني هو من يقنع اليهود الآخرين بالتوجه لفلسـطين، في حين يهاجر هو لأمريكا! وبالنسبة لهؤلاء اليهود كان انضمامهم للحركة الشيوعية أمراً عادياً جداً، وانضمام الأقليات التي تشعر ببعض التفرقة للحركات الشيوعية أمر شائع. ومن الناحية الاجتماعية،

كان الوضع بالنسبة لهم طبيعياً فأغلبيتهم الساحقة كانوا من أبناء البرجوازية الصغيرة مثل زملائهم المصريين، ولا يغير من ذلك وجود برجوازيين كبار بينهم مثل هنري كوريل أو شفارتس، فقد كان بين الشيوعيين المصريين أبناء وزراء وكبار ملاك وبرجوازيين كبار كذلك.

وفي عام 1947، كوَّن هؤلاء الأعضاء اليهود في منظمة حدتو «الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية»، وكانت تنشر البيانات لتدين الحركة الصهيونية بين اليهود المصريين، وتقاوم محاولات الصهيونية لإرسال اليهود المصريين لفلسطين. ومما يدعو للسخرية أن الحكومة المصرية التي كانت تسمح للحركة الصهيونية في مصر بالحرية الكاملة، إذ كان لها مقرها في شارع عدلي، كما كان لها تنظيم شبابي (نادي المكابي)، يعمل تحت اسم الرياضة، ولكنه ينظم الزيارات لشباب اليهود لفلسطين ويكسب تأييدهم، أو انضمامهم، للمستعمرات اليهودية هناك، هذه الحكومة المصرية كانت تعتقل الشباب اليهودي الشيوعي لتوزيعهم بيانات تكشف وتعادي الصهيونية!

وطوال السنوات السابقة على حرب فلسطين، كانت المنظمات الشيوعية، بقياداتها الأجنبية واليهودية، لا تتوقف عن فضح الحركة الصهيونية بوصفها حركة تابعة للإمبريالية البريطانية (في ذلك الوقت) التي أعطت وعد بلفور، ومكنت اليهود من الاستيطان في فلسطين، وساعدتهم على شراء الأراضي هناك. كذلك كانت تشرح كيف أن القول بأن الكيبوتزات هي تجارب شيوعية أو اشتراكية، هو مغالطة حيث إن من يملك هذه الأرض منظمة يموِّلها بنك روتشيلد، أحد عمد الإمبريالية، وبالتالي فأعضاؤها، في أفضل الظروف، مضللَون.

واستمر الموقف الرسمي للمنظمات الشيوعية المصرية، على تعددها هو رفض التوسع في الا ستيطان اليهودي، وإقامة دولة فلسطين المستقلة بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في 15 مايو 1948، والتي تضم سكان فلسطين الموجودين بها في ذلك الوقت (وكان عددهم حوالي 1.23 مليون عربي، ونصف مليون يهودي).

وكان جروميكو قد اقترح في 14 مايو 1947، قيام دولة فلسطين الموحدة المستقلة، وكان هذا هو موقف الشيوعيين المصريين. ولكن في يونيو/ يوليو 1947، أرسل مجلس الأمن لجنة «أونسكوب» لدراسة الوضع وتقديم مقترحاتها. وانتهزت المنظمات اليهودية وجود اللجنة وقامت بقتل جنديين بريطانيين ومثلت بجثتيهما، وأشاعت جواً من الرعب. وفي الوقت نفسه رفضت «الهيئة العربية العليا» بقيادة المفتي أمين الحسيني، مقابلة اللجنة. ونلاحظ هنا أن أمين الحسيني ذا الميول الفاشية، والذي قضى مدة الحرب في ألمانيا النازية، فرضته الجامعة العربية زعيماً للفلسطينيين دون أخذ رأيهم، ودون تأييد حقيقي له من جانبهم. ولذلك اقترحت اللجنة (في تقريرها، الذي قدم في 31 أغسطس)، مشروعاً للتقسيم المؤقت إلى دولتين تضمان عدداً من الكانتونات العربية واليهودية، على أن يؤخذ رأي سكانها بعد سنتين في الوحدة، وتبقى القدس (وكانت تضم مائة ألف عربي، ومائة ألف يهودي تقريباً)، موحدة وتحت إشراف الأمم المتحدة.

وأسـرعت «الهيئة العربية العليا» برفض القرار، واجتمع مجلس الجامعة العربية في منتصـف أكتوبر في لبنان ودرس موضوع دخول الحرب لمنع التقسيم.

وفي 17 نوفمبر اجتمع الملك عبد الله سراً مع جولدا مائير واتفقا على اقتسام فلسطين، بأن يضم الملك الجزء العربي من فلسطين، ويترك الباقي لإسرائيل.

وفي 29 نوفمبر أقرت الجمعية العامة مشـروع التقسـيم بأغلبية الثلثين، وأعلن الاتحاد السـوفييتي قبوله هذا الحل كأحسن الحلول السيئة، وبسبب تفاقم الأوضاع بين الشعبين (حسب ما قالت به لجنة الأمم المتحدة). واتخذ القرار رغم أن لبنان تقدمت، في آخر لحظة، باسـم الجامعة العربية، باقتراح إنشاء دولة فدرالية واحدة تضم كانتونات يهودية وعربية، ولكن الجمعية تجاهلت هذا الاقتراح.

وقبلت الوكالة اليهودية القرار، ورفضته «الهيئة العربية العليا» وبقية الدول العربية.

ويلاحظ أن «الهيئة العليا العربية» التي رفضـت التقسـيم لم تكن تملك أكثر من عدة مئات من المتطوعين للقتال، إلى جانب 1500 من شـباب النجادة بقيادة الهواري، ومجموع البنادق التي يملكها العرب كانت 2600 بندقية!!

وفي 8 يناير 1948، دخل 1500 متطوع من «جيش الإنقاذ» العربي إلى فلسطين، بقيادة فوزي القاوقجي، وبلغوا، عند بدء القتال، 3800 فرد ومعهم بنادقهم وبعض الرشاشات.

وفي 15 مارس جددت بريطانيا التحالف مع شرق الأردن (بعد أن اطمأنت إلى موقف الملك عبد الله من إسرائيل).

وفي آخر مارس و صلت أول دفعة من السلاح التشيكي لقوات الهاجانا، وبلغت 4700 بندقية حديثة، و250 مدفع رشاش حديث، و5 مليون طلقة. تضاف للسلاح المتوفر أصلا لليهود، وكان يشمل 10500 بندقية، و2600 بندقية رشاشة، و900 مدفع رشاش، و700 مدفع مورتار.(1) ويلاحظ أن الأسلحة التشيكية وصلت للهاجانا والإنجليز يحتلون البلاد.

وخلال المدة من 18 أبريل وحتى 13 مايو 1948، كانت قوات الهاجانا قد احتلت مدن طبرية، وحيفا، وصفد، ويافا، وهي جميعا من الجزء المخصص للعرب.

(1) بيانات تسلح الطرفين نقلاً عن كتاب «**خطيئة إسرائيل الأولى**»، ترجمة سعد الطويل، القاهرة، دار نشر سطور، 2003.

وفي 15 مايو عبرت القوات المصرية الحدود، ولكن اليهود أوقفوها عند أسدود.

وأوقفت الحرب خلال الهدنة الأولى من 11/ 6 إلى 8/ 7، حيث أكمل اليهود استعداداتهم وبدأت الحرب لمدة 10 أيام استولوا خلالها على اللد، والرملة، والناصرة، ثم توقفت الحرب للهدنة الثانية، وبدأت للمرة الثالثة في 15/ 10، حيث استولت الهاجانا على النقب.

وفي 2/ 10، و1/ 12/ 48، نظم الملك عبد الله مظاهرات مفتعلة لبعض الفلسطينيين المأجورين يطلبون انضمام الجزء العربي من فلسطين للأردن.

وكان مجموع القوات العربية النظامية 40 ألفاً في مواجهة 35 ألفاً من الهاجانا و10 آلاف من الشباب، ولم يلبث عدد القوات الإسرائيلية أن تضاعف إلى 65 ألفاً عند تأسيس «جيش الدفاع الإسرائيلي» في 31 مايو 48، ولكن تسليح اليهود كان أفضل من القوات الحكومية العربية (ولا ننسى الأسلحة الفاسدة).

هذا فضلاً عن أن قوات الفيلق العربي الأردني بقيادة جلوب باشا الإنجليزي لم يتخط مرة واحدة حدود التقسيم تنفيذاً للاتفاق بين الملك وجولدا مائير، ولكنه تنازل عن بعض الأجزاء لليهود. أما قوات العراق في ظل حكم نوري السعيد فلم تحرك ساكناً عندما حوصرت القوات المصرية (بحجة «ماكو أوامر»).

وهكذا يتبين أن الحرب العربية كانت تنفيذاً دقيقاً لتدبير بريطاني هدفه العودة لفلسطين من الشباك بعد الخروج من الباب! فالجزء العربي من فلسطين عاد لسلطة بريطانيا عن طريق ملك الأردن التابع، وحتى قطاع غزة خضع لمصر التي يحتلها 80 ألف جندي بريطاني، أما الجزء اليهودي فكانت بريطانيا تأمل استمرار تبعيته لها ولكنه توجه للشريك الأقوى أمريكا!

نتيجة الحرب

وكانت النتيجة النهائية للحرب، هي حصــول إســرائيل على 72٪ من أرض فلســطين بدلاً من 55٪ حسب قرار التقسيم، واختفاء فلسطين العربية من الخريطة، وقامت بدلاً منها الأردن عميلة بريطانيا، واحتلت مصر قطاع غزة الذي تكدس فيه حوالي 230 ألفاً من اللاجئين (أي حوالي 20٪ من الشعب الفلسطيني العربي. وفيما بعد، عندما قامت إسرائيل باجتياح عام 1967، استولت على ما بقي من الضــفة الغربية دون مقاومة من الملك حســين، كما اســتولت على قطاع غزة بعد انهيار الجيوش المصــرية التي تركت لها ســيناء كذلك. وهكذا تحقق الحلم الصــهيوني باحتلال كل فلسطين بالكامل. ولم تجرؤ مصر، بالطبع، عندما طالبت باستعادة سيناء بالمطالبة باستعادة قطاع غزة، بصفتها كانت محتلة له بصفة مؤقتة، لتسليمه للسيادة الفلسطينية!

أما في مصر، فكانت نتيجة الحرب كالآتي:

أعلنت الأحكام العرفية من 15 مايو 1948 (وأصبحت الحرب مع إسرائيل بعد ذلك، الذريعة الدائمة للأوضاع الاستثنائية)، ولم تعترض عليها الأقلية الوفدية في البرلمان.

واعتقل حوالي 100 من المثقفين والعمال الشيوعيين، وإلى جانبهم حوالي عشرة من الصهيونيين المعروفين، وهؤلاء كانوا كثيراً ما يبيتون في منازلهم، ويعودون للمعتقل صباحاً!

وانتهز الإخوان المسلمون الفرصة للقيام بحملة معادية للسامية (لليهود لا الصهيونية)، ولم يعتقل البعض منهم إلا بعد حملة الإرهاب بقنابل سينما مترو، وشركة الإعلانات الشرقية، واغتيال المستشار الخازندار، والنقراشي باشا.

ولم يفرج عن المعتقلين إلا في يناير وفبراير 1950، بعد مجيء وزارة الوفد، وكانت اتفاقات الهدنة مع إسرائيل قد وُقعت.

ومن هذا يتضح أن قرار الحرب قد اتخذ بموافقة وتشجيع الاستعمار البريطاني، الذي كان يسيطر بالفعل على أكبر ثلاثة أقطار عربية (مصر والعراق و شرق الأردن). وأنه كان في إمكانه منع الجيوش العربية من التقدم (راجع كتاب ملوك وعروش لهيكل)،

وأن هذا كله خدم إسرائيل بتصويرها كالضحية الضائعة في وسط بحر من العرب، وهي الصورة التي حرصت طوال ثلاثين سنة على المحافظة عليها، وبفضلها تدفقت عليها المساعدات الاقتصادية والعسكرية طوال 60 عاماً، وأُغمضت العين عن اعتداءاتها، وعن أسلحة الدمار الشامل التي تمتلكها.

والشيوعيون المصريون عندما أعلنوا قبولهم لقرار التقسيم (رغم اعتباره قراراً سيئاً)، ورفض الحرب، إنما كانوا يعبرون، وفي ذلك الوقت، عن الموقف الأفضل سواء من وجهة نظر الشعب المصري أو الشعب الفلسطيني، وأنهم رفضوا الانسياق وراء غوغائية الإخوان المسلمين.

وبالطبع، اختارت الصحافة الصفراء، وعلى رأسها أخبار اليوم التشهير بهذا الموقف، واستغلت أسماء كورييل، وشفارتس وغيرهما على رأس الحركة الشيوعية، للربط بينها وبين الصهيونية، رغم أن أحداً في مصر لم يقف ضد الصهيونية مثل الشيوعيين وخاصة اليهود منهم.

مما سبق تتضح لنا النتائج السلبية التي عانت منها الحركة الشيوعية المصرية من تمسك الأجانب بالمراكز القيادية في الحركة، ومساهمتهم الكبيرة في أزمتها، رغم الدور الإيجابي الذي لعبوه عند تأسيسها.

مصطفى مجدي الجمال (الحزب الاشتراكي)

من أهم التفسيرات للأمراض الانقسامية في صفوف اليسار المصري تلك المبنية على الطبيعة الطبقية البرجوازية الصغيرة والبرجوازية للحركة ككل، ولقياداتها بالأخص. غير أنه تفسيرات تبدو بالنسبة لي أقرب إلى «التبرير القدري»، ورغم أنها مفيدة في فهم انعزالية الحركة عن الطبقات الشعبية فهي لا تكفي وحدها، بالطبع، لفهم ظاهرة الانقسامية.

ذلك لأن المثقفين والبرجوازية الصغيرة كانوا، تاريخيًا، في قيادة العديد من التيارات الوطنية الأخرى، ومع ذلك لم تعرف هذه التيارات ذلك المستوى المرتفع من الممارسات الانقسامية.

بل إن بعض التنظيمات قد نجحت، في الأربعينيات- وبالرغم من ظروف السرية والمطاردة- في التماس النسبي مع الحركة العمالية (خاصة حزب العمال والفلاحين)،

كما نجحت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) في القيام باختراقات محدودة للريف المصـــري، إلا أن هذا وذاك لم يتناســبا إطلاقًا مع ما ادعته التنظيمات اليســارية لنفســها كأحزاب للطبقة العاملة.

أما عن القصـــور النظري فهو حقيقة مؤكدة. ولكن لماذا لم تنجح التربية النظرية في تغيير ذاتية المثقفين ونزوعهم الانقسامي؟

أظن أن لهذا علاقة، أســاسًــا، بما ســاد حركة اليســار العالمي كله من نصــية ســلفية تعاملت مع الا شتراكية كأيديولوجية تامة الـ صنع يحتكر المركز العالمي تف سيرها، وليس كمنهج ومر شد للعمل ي ستهدف توطين الفكر الا شتراكي وبناء نظرية للثورة في م صر على أ ساس التفاعل الجدلي بين الفكر والتطبيق، وبين الطليعة والجمهور.

ومن المثير أن التبعية لـــــ «مركز» فكري أممي واحد لم يحُل دون الانقســام، بل إن الحركة اليسارية لم تنعم بالانضمام إلى هذا المركز الأممي، قبل منتصف السبعينيات.

وكان من نتائج السلفية النصية شيوع «الاحتكار العقائدي» لدى كل جماعة، ومن ثم لم تُترك مساحة للتنوع والاختلاف، أو لجعل الممارسة تحكم على صحة الخطوط السياسية المتصارعة، وإنما كانت السلطة العليا للنص، ولمفسريه العالميين وشُرَّاحهم في كل جماعة. وبالتالي شاعت اتهامات التحريفية اليمينية واليسارية.

غير أن من العوامل التي زادت من خطورة السلفية/ النصية هو ضعف إنتاج الفكر العالمي فيما يتصل بقضايا الجنوب، حيث تتجاور أربعة محاور نضالية رئيسية: الاستقلال الوطني سياسيًا واقتصاديًا، التحول الديمقراطي والمشاركة الشعبية، التنمية وتقليل حدة الاستغلال، الثورة الثقافية. ومن البديهي أن هذا «المُركب» النضالي يثير اختلافات مفهومة بين التركيز على هذا البعد أو ذاك.

مما زاد الطين بلة أن أدى القصور النظري في تثقيف الأعضاء- لأسباب تاريخية وغيرها- إلى جنوح العضوية نحو تقديس القيادات، وغلبة المزاج التشاجري وحتى التخويني في التعامل مع التيارات الأخرى.

كما أعتقد أن الفشـــل الأكبر كان في تطبيق «المركزية الديمقراطية»، حيث تحولت إلى صـــورة مقنَّعة لدكتاتورية الزعماء، خاصة في ظروف النضال السري. بل إن هذه «المركزية» نفسها لم تفلح في حماية المنظمات من الضربات الأمنية ولا تحصينها من الانقسامات أو الترهل. ومن الملاحظ أن منا سبات فتح الصراع الفكري داخل المنظمات كانت هي نفسها بمثابة «كلمة السر» كي تبدأ الانقسامية فعلها.

وإلى جانب نظرية «النمو الذاتي» الانعزالية التي تبنتها قيادات عديدة، يرى البعض أن الوحدات الاندماجية المتعجلة بين المنظمات استهدف منها البعض أساسًا القضاء على الآخر والسطو على كوادره، مع اســتمرار الحلقية تنظيميًا ونفســيًا داخل التنظيم الموحد.. والخلاصــة أن الوحدات كانت تؤدي إلى مزيد من الانقسامات.

هناك، أيضًــا، تفسـيرات ثانوية أخرى، مثل الاختراقات البوليسـية، وسـنوات الاعتقال الطويلة بثقلها اللاإنساني على أعصاب وعواطف المناضلين.

يتبقى القول إن القيادات الحزبية هي المسئولة بالدرجة الأولى عن شيوع التشرذم- العبثي أحيانًا- حيث كان من المفترض أن تكون الأكثر وعيًا وانتماءً واستعدادًا للتضحية والإيثار.

*** وبعد ثورة 25 يناير أضيفت عوامل ومفاهيم أخرى للانقسامات. لعل أهمها تلك الفجوة «الجيلية» التي يعمل البعض على توسيعها. ومن أهم السمات التي يراد فرضها على الأعداد الهائلة من الشباب التي دخلت الفضاء العام بعد الثورة، عزلها عن الأجيال الأقدم «الفاشلة» و«الستالينية»...الخ.

هناك، أيضًا، الفجوة بين القوى والمنظمات السياسية وبين الحركات الاجتماعية الجديدة، وخاصة الائتلافات الشبابية التي عرفتها مصر في العامين الأخيرين. ومما يزيد الأمر سوءًا ذلك التراث السلبي لبعض الأحزاب وصورتها السيئة عند الجماهير والأجيال الجديدة.

ترتفع، بالطبع، الدعوة للتوحيد في حزب واحد على أســاس المنابر الداخلية. ولكن القول بهذا التصــور كان معقولاً- رغم أنه لم يتحقق أبدًا- في فترة الحظر الحزبي قبل الثورة. كما أن المنابر «الثابتة» أقرب إلى الانســلاخ دائمًا من الحزب الواحد. ويشــير البعض إلى تجربة حزب العمال البرازيلي، على وجه الخصــوص، في هذا الصــدد، فهل يمكن القول إن الثقافة «الديمقراطية» قد ترسخت عند اليسار المصري بما يسمح بتطبيق هكذا بناء تنظيمي؟!

أظن أن الأسلم هو التعامل مع التوحيد كعملية وليس كإجراءات فحسب. ومن المهم الشروع فورًا في تكوين قيادة «جبهوية» مشــتركة، مع تعظيم التفاعلات المتبادلة. وسـيكون الاختبار الأهم هو مدى استعداد وقدرة وفهم قوى اليسار مجتمعة لبناء تحالفين، في آن واحد:

- تحالف الديمقراطيين الثوريين، للحفاظ على البعد الاجتماعي للثورة الحالية.

- تحالف مدني، للتصدي لهجمة القوى الظلامية المتحالفة مع العسكر.

اتحاد الاشتراكيين ضرورة مُلحة لشعبنا

نبيل صبحي (حزب الشعب الاشتراكي)

أخذتنا ورقة المناقشة (المقدمة من الصديق المناضل عبد القادر يا سين) ـــ أخذتنا بعيدا في التاريخ ، الذي حاولت إيجازه، ولأنه طويل ومتشعب، فقد شاب العرض مآخذ ، غير أن الكاتب الصديق أعاد ـــ مشكورا ـــ طرح مهمة محورية ومبدئية ، يتعاظم إلحاحها ، بالنظر إلى ما تمر به بلادنا وشـعبنا من تطورات مجيدة ، ولكنها محفوفة بأخطار جسـيمة ، لا رد لها، إلا بإنجاز هذه المهمة ، وهي إتحاد وتفعيل اليسار الاشتراكي.. المهمة التي هي الآن ـ أكثر من أي وقت مضى ـ بمثابة استدعاء للجند ، في ظروف طارئة.

مداخلتي في الموضوع تتناول:

1ـ منظورنا للمسألة؛

2ـ حال اليسار الاشتراكي الراهن.

أولا: منظورنا للمسألة المطروحة :ـ

ونعني بكلمة «منظور» هو ما استقر عليه «حزب الشعب الاشتراكي»، منذ أمد طويل، في تشخيصه لظاهرة «الانشطار» في الحركة الشيوعية المصرية ـــ الميلاد الثاني (على حد تعبير الورقة المطروحة). وتشخصينا يتلخص في أن الأصل كان ولا يزال تعددية، أما الانقسامية ، فكانت ظاهرة جزئية .

فقد ذكرت الورقة المقدمة ، مثلا :

ـــ أنه منذ 3يوليو عام 1952، غدا الموقف من الطبيعة الطبقية للسلطة هو العامل الرئيسي في الانقسامات ، كما حدث أن أنتج الموقف من سلطة يوليو 52 تماثلا في موقف منظمة شيوعية مع موقف «الإخوان المسلمين».

ـــ إن ورقة كوربيل حول «خط القوات الوطنية » كانت «ذريعة» انشقاق الشهيد شهدي عطية الشافعي «بتكتله الثوري» على «حدتو».

هكذا ، إذن تلاحظ الورقة المقدمة أن الانقسامات والوحدات ـ المؤثرة ـ كانت لأسباب فكرية وسياسية .. وبشيء من التدقيق في مجيء الميلاد الثاني (حتى في جنينيته المبشِّرة بمجيئه) في شكل حلقات متباعدة، نجد أن سبب ذلك ليس إلا تباعد ما، في الفكر والسياسة ،انعكس ، أيضا ، في تباعد أسلوب الوجود (المجيء) نفسه. ومنذ ستينيات القرن الماضي ، كشفت دراسات ووثائق تاريخ الحركة الشيوعية (الثانية)، حقيقة أن (مجيء) فصائلها كان متباعدًا ، لأن الذين حملوا مشروع المجيء اختلفوا ، جذريًا ، حول:

ـ تحليل (تشخيص) أوضاع مصر العامة؛

ـ الموقف من حزب الوفد؛

ـ الموقف من الإخوان المسلمين؛

ـ القضية الفلسطينية؛

ـ المشكلة اليهودية؛

ـ السودان ؛

ـــ أسلوب العمل في: «حركة أنصار السلام»، ومن قبلها« اللجنة الوطنية للطلبة والعمال»، والحركة العمالية والنقابية؛

ـ ثم الخلافات الجذرية ، فكريًا وسياسيا، حول (ومنذ) حركة الجيش ، في 23 يوليو 1952 .

لكن لم يكن ممكنًا في ظل سيادة الستالينية علينا جميعنا، أن نعي أو نستوعب التعددية الماركسية، ومن ثم استحالة قبولنا ، آنذاك، لمجرد القول بإمكان تعدد «النظر الماركسي» للواقع ـــ أي واقع ، فضلا عن الموضوعية العلمية ـ الطبقية والاجتماعية ـ لهذا التعدد.

وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي ومنظومة دول شرق أوروبا ، كان كاتب هذه السطور المتواضعة أول من طرح على الشيوعيين المصريين النظر لتاريخهم ، على أنه «تعدد» رؤى ماركسية ، تعكس انتماءات أو تأثر بمصالح طبقية «مستَغلَّة في المجتمع»، من حقها «الوجود الاستقلالي » الذي يساعدها على اكتشاف حلفائها، والسعي للنضال المشترك معهم، من واقع المصالح المشتركة ضد المظالم المشتركة ،أيضًا ، دون أن يمنع ذلك تبادل النقد ، فيما هو محل اختلاف في النظر العام. ولكن، في مثل هذه الحالة، فإن تبادل النقد سيراعي ضرورات النضال المشترك..

إن مفهوم «الانقسامية» يولِّد ـــ تلقائيا ـــ عدائية العلاقات، بعكس التفهم لموضوعية التعددية، الذي يولِّد تلقائية الاعتراف المتبادل، ومن ثم موضوعية الاتفاق حول ما هو مشترك، وموضوعية ممارسة الخلاف فيما هو محل ذلك.

غير أن أحدًا لا يمكنه إنكار ظاهرة الانقسامية في الحركة الشيوعية المصرية ، والتي انحصرت ـ وفقا لمفهومنا حول التعددية ـــــ في الانشـقاقات ، الصـغيرة والمتعددة والمتكررة ، التي حدثت لأ سباب «ذاتية »، أو «تنظيمية بحتة» ، أو حتى سيا سية مؤقتة في منظمة «حدتو» ، أ سا سا . ونظرا لـشكلية أ سباب الانقـسامية ، فإن الأغلب الأعم هو عودة «المنقـسمين» إلى «المنظمة الأم» سواء بتوافق شخصي، أو بنقد ذاتي، أو بوحدة.

قد يتساءل البعض: إذا كان الأمر كذلك ، فبماذا تفسر «انشطار» الحزب الشيوعي المصري ، المؤسـس في 8يناير 1958 إلى «الحزب الشـيوعي المصـري» ، و الحزب الشـيوعي المصـري «حدتو» .. وبعد 4 أشهر فقط من تأسيسه، وعلى أساس خلاف تنظيمي ، وليس فكري ، أو سياسي !؟

وإجابتنا على هذا التســاؤل تتلخص في أنه ـــــ وفقا لنظرتنا حول «التعددية» ـــــ فإننا نقول إن «الوحدة»، التي أســســت حزب 8يناير ، كانت شــكلية بحتة تمت بين أحزاب «متباعدة» كليًا ،وفكريًا، و سيا سيا وعلميا، وكان من المستحيل ـــ كما ثبت ـــ أن يحوِّلها قرار إداري إلى حزب ماركسي ــ لينيني . إن هذا القرار لم يخلق سوى كونفدرالية هشَّة، بين 3أحزاب . نعم ثلاثة أحزاب ، إذ لم يلبث جناح الحزب الـ شيوعي المـ صري أن انـ شطر ، مرة أخرى: انـ شطارًا تجمّع فيه كل من تلاقت فكريتهم من مختلف المنظمات الـ سابقة ، والآخر واحد من المنظمات التي نـ شأت بفكرية متباعدة عن الآخرين ، منذ ولادتها ، وهي منظمة الحزب الشــيوعي الشــهير ب «الراية». وإننا نُسجل هنا ، وكما ذكرت في شهادتي المنشورة بالعدد السابع من سلسلة « شهادات وروؤى »، أن «حدتو» و «الراية» هما حزبان ماركســيان ، لكل منهما نظره الخاص للواقع الوطني ، وأســاليبه الخاصة في التنظيم ، وفي العمل الجماهيري، وسائر قضايا النضال ،

ولذلك من حق كل منهما الاستقلالية ورفض الذوبان.. والأمر ذاته بالنسبة للفصيل الثالث، الذي كانت غالبية كوادره من «حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري» (طليعة العمال) ، الذين التقت توجهاتهم الفكرية مع كوادر أخرى من رفاق مختلف المنظمات .

لأن القيادات التي أعادت تنظيم «الحزب الشيوعي المصري» في عام 1975، كانت تنتمي كلية إلى مدارسها الفكرية الآتية في الميلاد الثاني ، وكذلك كانت القيادات التي رفضت «حل الحزب الشيوعي » واستمر ب «حزب 8 يناير » ، أو بتأسيس «حزب العمال الشيوعي المصري».. فإن هذه الأحزاب لم تطرح فيما بينها قضية «وحدة» ما، كما أنه في الحزب الشيوعي المصري (1975) سرعان ما تكشف خلاف فارق في الفكر والسياسة والممارسة ، جماهيريا وتنظيميا.. وكانت للخلاف أصول فكرية ، تعود إلى زمن «الميلاد الثاني» .. لذلك ما أن رحل رمانة الميزان للحزب : الرفيق الشهيد زكي مراد، حتى انشطر الحزب إلى «أصوله»، نعم نقول أصوله ، أي التعددية الماركسية الموضوعية،

والحال ، الآن ، في اليسار الا شتراكي هو هكذا ، بالضبط .. تعددية مو ضوعية، تعكس مصالح أو تأثر بمصالح اجتماعية جميعها مضطهدة ، والصحيح والصحي معًا هو الاعتراف ـــ بشفافية ـ بموضـــوعية هذه التعددية ، التي هي المعبِّر العلمي عن حقيقة الوضـــع، والمِعْبَر العلمي أيضـــا ، للحد من الآثار الســـلبية للتعددية على الجماهير ، بل وتحويلها إلى حافز للفاعلية الجماهيرية .. ولاستعادة مصداقية الاشتراكية لدى شعبنا العظيم.

ثانيا ـ جبهة الاشتراكيين والحال الراهن لليسار

ترث جميع ـاحزاب اليسار الاشتراكي جميع التداعيات باللغة الصعوبة الناشئة من كارثتين :ـ

الأولى ـ قراري حل الحزبين الشيوعيين (المصري، والمصري «حدتو»)في عام 1965 .

والثانية ـ انهيار الاتحاد السوفييتي ، ونظم دول شرق أوروبا.

لسنا في حاجة لأي تدليل على أن تداعيات الكارثتين تتمركز حول أثرين أساسيين :

الأول: فقدان مصداقية الاشتراكية والشيوعية لدى الرأي العام المصري.

والثاني: شيوع حالة من التيه والتخبط ــ بل والارتداد ــ بين الشيوعيين أنفسهم، ليس في بلادنا فحسب ، وإنما في كل العالم ، تقريبًا. و صاحب ذلك انكماش وانقسامات ، طالت حتى عددا من أكبر الأحزاب الشيوعية (فرنسا ـ إيطاليا ـ الهند ، وغيرها) . ورغم مرور عشرين عاما على الكارثة ، ورغم الأزمة العامة المتفاقمة للرأسمالية العالمية ، فإن كل الاجتهادات الفكرية حول أسباب انهيار نظم «حلف وارسو» بقيادة الاتحاد السوفييتي ، لم تقدم اجتهادا واحدا مقنعا للجموع الكادحة ــ ولا حتى لجمهرة الشيوعيين ــ بالأسباب الموضوعية ، لهذا الانهيار السريع، والمؤيد جماهيريًا في بلدانه ، اجتهادا يحوِّل الصدمة إلى وعي أعلى ، وفهم أعمق للفكر الاشتراكي العلمي ، ويشحذ نضالا مستجدا مسلحًا بخبرة مريرة ،من أجل عودة الكادحين إلى طريق النصر.

ليس هذا فحسب ، بل أن ما هو أشد خطرًا هو الاستمرار غير المبرر لما أسميه «حالة» مراجعة أسس علمية، أكدتها حتى تداعيات التطورات السياسية والاجتماعية في مختلف بقاع الأرض، منذ الانهيار وحتى الآن . ونعني من هذه الأسس ـ بصفة خاصة ـ مسألتين :

الأولى ، هي المفهوم العلمي للدولة في الاشتراكية ؛

والثانية ، هي الضرورة الموضوعية ـــ الشرطية ـــ لدور حزب الكادحين المنظم على الأسس اللينينية ، أيديولوجيا وطبقيا وتنظيميا.

إن الانهيار السريع لنظم دول «حلف وار سو» إنما يرجع إلى تراكم آثار ارتداد القيادة السوفيتية عن مفهوم الدولة في الا شتراكية .. أي عن «كل السلطة للجمعيات العمومية للعاملين والفلاحين والجنود».. فالديمقراطية سلطة ، كما كان يردد ماركس.. وسلطة الكادحين تعني ديمقراطيتهم الفعلية. كما يرجع ذلك الانهيار إلى الارتداد ، أيضًا، عن المفهوم الثوري لدور الحزب الثوري. إن هذا الدور ليس إلا حفزًا وتنظيمًا وتثقيفًا للجماهير بمصالحها : قبل الثورة ، وتتمثل في العمل على حكم نفسها بنفسها؛ وبعد الثورة ، وتتمثل في ممارسة حكمها لنفسها .. ومن ثم، فإن دور الحزب الثوري ليس ، أبدًا، أن يحل محل الجمعيات العمومية للكادحين في السلطة .

إن استمرار «حالة» الارتداد بين القيادات الشيوعية، يفسِّر «حالة» إضاعة الفرص التاريخية التي لاحت ، واللائحة ، للكادحين عالميًا ومحليًا، خاصة في خضام تزايد تردي أوضاعهم الكلية ، جراء الأزمة العامة التي تخنق ـ أو من المفترض أن تخنق حتى الموت ـ الرأسمالية العالمية.

إن «حالة» الارتداد المصاحبة لانكماش الصدمة ، أتاحت للسلطة في بلادنا ـ كما في بلاد أخرى ـ أن تهيمن على الفكر الجمعي، حيث لم تضيع الوقت ، فعكفت على توظيف كل وسائلها وألسنتها ، لتغييب هذا الفكر ، في ظلمات فكر يشيع الاستسلام ، والتواكل ، والقدرية ، والجمود. وأداتها في ذلك ، هي تفسيرها المبتسر للدين، وترويجها لنصوص مجتزأة ، ومفاهيم مغلوطة تذكي بها روح التعصُّب والفرقة بين المستَغَلين، وهذا بالإضافة إلى تكثيف تشويهها للاشتراكية «المنهارة»، وإلى استمرار ترديدها لتكفيرها، وتكفير المناضلين من أجلها.

وباختصار، نجحت البورجوازية (مؤقتًا) في إغراق الفكر الجمعي للأمة في غمام يشكل عائقا طبيعيًا أمام تقبله للاشتراكية والاشتراكيين.

هناك، إذن ، عوامل يمكن القول بأنها مو ضوعية للأزمة الراهنة لليـ سار الا شتراكي المـ صري. ولكن لأن الأزمة تكمن في «حالة» الارتداد عن أ سس مبدئية للا شتراكية العلمية، وفي حالة العزلة عن الجماهير ، بسـبب الارتداد عن الشـروط الضـرورية التي يتعين توافرها في الحزب النضـالي، نقول، لأن الحال كذلك ، فإن المشكلة، جوهريًا، في الاشتراكيين أنفسهم.

ثمة عوامل تزيدَّ من حدة الأزمة في مصر، وهذه هي:

1ـــ لا تزال لبعض القيادات في كافة فصائل اليسار الا شتراكي تعكس ، في فكرها وممارستها ، الحليقة القديمة ، رغم ترديدها ـ قولا ـ لمقولة التعددية.

2ـــ وترتبط هذه الممارسات بشيوع «الذاتية» ، و «الزعامية»، و«التعالي»، حتى أن الحلقية تهبط لدى البعض من تحلق حول تاريخ وفصـيل، إلى تحلق للذات المنفردة القارئة لخلفية كل فكر أو رأي ..، بل وكل شخص، ومن ثم العازفة و «غير المـ ضطرة »! لـ سماع فكر أو رأي.. فما حاجتها لذلك؟ وما أهمية «إضاعة الوقت!» في مناقشة؟!

ولنا مع مثل هذه السلوكيات تجارب فعلية، نورد منها ما يلي القليل ، كأمثلة:

ـ في المؤتمر الأول لليسار المصري ، المنعقد في يونيه/ حزيران/ 2010، طالب حزبنا بتضافر جهود اليسار ، لشن حملة تنوير في قرانا ومدننا ، موجهة للفقراء ، وهدفها انتشال الكادحين من غيبوبة الفكر السلفي الظلامي.

لم يلتفت أحد لهذا الطلب الذي كنا قد أسسناه ، على دراية وممارسة عملية.. وها هي النتائج بادية ، بعد عام ونصف كاملين، أضعناها بالتعالي والتفرد.

ـ في المؤتمر الأول التأسيسي (التشاوري) لحزب التحالف الشعبي الاشتراكي»، والذي انعقد بنقابة التجاريين (27/ 2/ 2011) ، طالب ممثل حزبنا أن تتركز جهودنا ـ قبل الانغماس في بلورة الحزب الجديد ـــ في التوجه والانتشار بين الملايين ، التي كانت لا تزال محتشدة في المدن، وفي كل المحافظات ، لنطرح ، وندعو إلى ، شعارات أسميناها «شعارات اللحظة الثورية التالية لانتصار شعار (ارحل)»، وهذه الشعارات كانت:

ـ إلغاء الطوارئ ؛

ـ محاكمات سياسية لمبارك وطغمته؛

ـ إلغاء دستور عام 1971 وتعديلاته.

مرة أخرى ، لم يلتفت أحد، وتم التفرد بالانغماس في بلورة الحزب الجديد (والمستمر حتى الآن) .. بينما أثبت تطور الأحداث صحة دعوتنا «الدون كشوتية» يا رفاق(كما تصفون ممثلينا). ـ

ـــ مرة ثالثة ـــ منذ أيام ، حيث تقدمنا باقتراح إلى «حزب التحالف الشعبي الاشتراكي» ، خاصًا بالممارسة النيابية.. ولم يهتم أحد حتى بالرد علينا ، أو بإفادتنا بأنه حتى قرأها.

لذلك: ندعوكم أن تواجهوا مسئولياتكم الجسيمة في ظروف الأخطار الراهنة المحدقة بالتطور الديمقراطي لشعبنا العظيم.

ونقترح: دعوة لكبار مسئولي أحزاب اليسار الاشتراكي إلى:

1ـــــ تحديد نقاط الاختلاف والاتفاق فيما بينهم (كموضـــوعات فحســـب) من واقع البرامج واللوائح . وإعلان ذلك .

2ـــــ تقييم الأو ضاع الراهنة في بلادنا ،والاتفاق على العمل المشترك الممكن ،خا صة بالنسبة لتســييس وتوحيد الحركة العمالية، وبالنســبة لرئاســته الجمهورية، وبالنســبة للتوجه الاقتصــادي العام..

والأمر مطروح وشكرًا،،

القاهرة في 17/ 2/ 2012

مائدة مستديرة حول أزمة اليسار المصري

في «مؤسسة الهلالي للحريات»، بالقاهرة، نظمت «الجبهة العربية المشاركة للمقاومة الفلسطينية» مائدة مستديرة، تحت عنوان «أزمة اليسار المصري». قدم الورقة الرئيسية عبد القادر ياسين. وناقشها كل من: عبد الغفار شكر (التحالف الشعبي الاشتراكي). ومن الحزب نفسه عبد السلام جعفر، ومن «الاشتراكي المصري» ساهم كل من د. محمد هشام، وسعد الطويل، وحسن شعبان، ومصطفى مجدي الجمَّال، ومن «الحزب الشيوعي المصري» صلاح عدلي.

أدار المائدة عبد العال الباقوري، واستمرت ثلاث ساعات متصلة (11 ص ـــ 2 م)، من يوم السبت(18/ 2/ 2012).

افتتح الباقوري المائدة، مؤكداً على ما انتهت إليه ورقة ياسين، من أن قوة اليسار في وحدته. فبها يستعيد هيبته، ويسترد ثقة الجماهير به، ويحقق حضورًا ملحوظاً في الحركة السياسية المصرية، كما يضع حداً لاعتذار المستنكفين عن الإسهام في النشاط اليساري المصري.

تبعه ياسين، فعرض لأهم استنتاجات ورقته، التي حصرها في العوامل التي حفّت بالانقسامات المتوالية في اليسار المصري، وأهمها:

* **الخلافات الشخصية** وفي التقدير بين المؤسسين (كومب، كوربيل، إسرائيل، شوارتز).

* **الصراع حول التمصير.**

* **مد الاستحقاقات** من التعبيرات العلنية إلى المجال السري.

* **ضعف التثقيف** النظري والسياسي، مما أفسح في المجال لفكر البرجوازية الصغيرة، بتطرفاتها اليمينية واليسارية، وقد غرق سجل عضوية فصائل اليسار المصري بعناصر تلك البرجوازية، مقابل **ضعف الحضور البروليتاري**، وغياب العنصر الفلاحي.

* **غياب الديمقراطية الداخلية**، إلى حد بعيد.

لعلنا نفتح الباب لوحدة اليسار، ما يؤهله لإجراء مراجعة نقدية لمسيرة اليسار المصري.

كان شـكر أول المداخلين، وبدأ مداخلته بالقول إن الانشـقاقات نتيجة، بسـبب افتقاد الطابع المؤسسي، والانقطاع وتبديد الخبرة، والطابع النخبوي للحركة. ما يقودنا إلى السؤال: كيف يمكن لليسار المصري أن يتجاوز هذا المحنة؟!

أكد المداخل بأن اليسار يمتلك مقومات نهوض جديد؟ وإن تحفظ بأن الأمر ليس رهنًا بتوحيد اليسار،بل بخلق أُطر مشتركة لعمل سيا سي مشترك، لفترة زمنية محددة، تُفضي إلى تعزيز الثقة، وخلق أرضـية مشـتركة، في ما ينجح أحد الأحزاب اليسـارية في الارتباط بالحركة الجماهيرية .

وحدد شكر المطلوب من هذا الحزب في مايأتي:

-كسب الشباب.

-تطوير الخطاب السياسي للحزب؛

-تطوير مناهج الاقتراب من الجماهير؛

-بناء الحزب، كمؤسسة ديمقراطية جماهيرية؛

-وممارسة سياسة تحالفات صحيحة.

كان د. محمد هشام (الا شتراكي) ثاني المداخلين، بادئًا بتحبيذ، أولاً،التكثيف الشديد في ورقة يا سين،كما في كتابه الجديد (الحركة الشيوعية المصرية)؛وثانيًا مو ضوعية الورقة،وتخلصها من الفكرة المسبقة. وإن تحفَّظه هشام أولاً،على قول يا سين بأن «الكومنترن » أسهم في الحيلولة دون انشقاق حزب العشرينيات؛ وثانيًا في أن العلنية ليست، دائمًا، مانعة لغياب الديمقراطية.

تساءل المداخل الثالث، المهندس سعد الطويل (الاشتراكي) ـــــوهو الوحيد من جيل الأربعينيات ـ عما إذا كان أمام وحدة اليسار،أم أمام بناء حزب يسار يجماهيري؟!

كما رأى الطويل بأن أحد أسباب الانقسام هو أن «الكومنترن» كان تحت قيادة الاتحاد السوفييتي وحزبه البيروقراطي، الذي انعكست خلافاته على بقية الأحزاب الشيوعية في العالم. وبعد طرد «الحزب الشيوعي المصري» من «الكومنترن» (1930)، استحال تسمية أي فصيل يساري باسم «الحزب الشيوعي» . ومن هنا كانت الانقسامات في اليسار المصري، والبداية (أواخر الثلاثينيات) المنقطعة عن الميلاد السابق (حزب العشرينيات).

انتهى الشيوعي المخضرم إلى أن المشكلة الراهنةتتمثل في الحزب الجماهيري .ذلك أن ثورة 25 يناير 2011 المصرية تفوق ثورة 1919 الوطنية المصرية. وقد اتسعت كثيرًا دائرة المصريين المستعدين للعمل السياسي، وتمنى المداخل « ألاتفوتنا الفرصة».

لاحظ صلاح عدلي (الشيوعي المصري) بأن هذه ندوة ضمن عشرات الندوات التي خصصت لمناقشة أزمة اليسار المصري؛وآخر تلك الندوات تم تنظيمها عشية ثورة 25يناير.

انتقل عدلي إلى عوامل تبعثر اليسار المصري،فرأى بعضها ذاتي، والبعض الآخر موضوعي، فيما ركزت ورقة ياسين على الجانب التاريخي للأزمة،مركزة على الانقسامية، تحديدًا.

توقف القيادي الشيوعي عند نقطة أن الميلاد الثالث للحركة الشيوعية المصرية، في سبعينيات القرن الما ضي ، جاء في قطيعة مع الميلاد الثاني للحركة . ونفى عدلي أن تكون القطيعة قد حدثت، ليس فحسب لأن غالبية قيادات فصائل السبعينيات كانت تنتمي إلى الميلاد الثاني.

انتهى عدلي إلى التساؤل عما إذا كان يمكن لليسار المصري أن ينهض دون العامل الأيديولوجي؟ ورد ـ دون تردد ـ بالنفي. وعاد ليعطي صوته للتعددية، دون الانقسامات.

تلاه مصطفى مجدي الجمال، فرأى أن أهم عامل هو التشابك والتعقيد فيما ينا ضل من أجله الحزب اليساري.

أما العامل الثاني فتمثل في العيب الأساسي في الميلاد الثاني، المتمثل في «النصيَّة». بقيت «السرية»، التي احتلت موقع العامل الثالث.

يعاني الشباب اليساري من خلافات وفجوة جيلية، فضلاً عن فجوة أخرى بين اليسار عمومًا والمنظمات الشبابية.

لاحظ الجمال بأن موقف الشباب في «حزب التجمع» سلبي. وقد مدّ الشباب هذا الموقف إلى كل اليسار.

تساءل المداخل: حين تقوم منابر في الحزب، هل يتخذ القرار بأغلبية وأقلية، أم بالتوافق؟!

انتهى الجمال إلى اقتراح قيام قيادة مشتركة بين «التحالف» و«الاشتراكي»، وصولاً إلى تنظيم جماهيري، يجمع في عضويته كل اليسار.

رأى حسين شعبان (الاشتراكي) بأن العقدة تتمثل في كون حزب الطبقة العاملة كان بلا طبقة عاملة، باستثناء حزب 1921. وأخذ شعبان على اليسار إهماله قضيتا السلطة، واستراتيجية بناء الحزب.

رفعت الجلسة لعشر دقائق، وحين عادت إلى الالتئام بدأت التعليقات بعبد السلام جعفر (التحالف)، الذي رأى أن الواقع المصري تعيبه ظاهرة التشرذم، فيما أنجبت ثورة 25 يناير ظاهرة التوحد. ولاحظ جعفر بأن الأهداف الأربعة لثورة يناير هي شعارات اليسار، وتكفي لتوحيده.

فيما اعترض جلال حسن شعبان (الاشتراكي) على الاقتراح الذي قدمه عبد الغفار شكر، ومؤداه السماح بقيام منابر داخل الحزب، حيث أكد شعبان بأن المنابر تُفرِّق ولا توحِّد.

كما علق عبد القادر ياسين على مجمل المداخلات بادئًا بمداخلات شكر الذي كان رأى بأن الأمر ليس رهنًا بتوحيد اليسار. كما اعترض ياسين على فكرة «المنابر»، التي لن تحل مسألة الخلافات، بل ستعقدها، كما أن ما من حزب، على وجه البسيطة، وعلى مدى التاريخ الإنساني كله، خلا من الخلافات. والبديل يمكن أن يكمن في الديمقراطية الداخلية الرحبة، إن جاز التعبير. وانتقل ياسين للحديث عن قطيعة كل ميلاد لليسار مع سلفه،

وأعادها ياسين إلى إدانة كل ميلاد لما سبقه. وفي رده على د. محمد هشام، أكد الأول بأن السرية ذريعة قوية لسيادة المركزية المقيتة.

كما لاحظ يا سين بأن كل محاولات التنسيق بين أطراف اليسار المصري ـــ منذ بدأت سنة 2007 ـ قد ولدت ميتة.

اعترض صلاح عدلي على فكرة «المنابر»، متخوفًا من فتحها الباب للانشقاقات. فيما تساءل حسن شعبان كيف للمنابر أن توفر شروط بناء حزب يساري؟! وأكد بأن العلنية ستسهم في تعزيز الديمقراطية الداخلية.

لاحظت آمال خزامي (التحالف) بأن هذه المائدة تكرِّس النخبوية. ولاحظ سعد الطويل بأن ماركس حين وضع نظريته، كان وضع الرأسمالية مختلفًا، وحين جاء لينين نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، كانت الرأسمالية القومية قد تبلورت، وأدخلنا في حروب طاحنة، واليوم علينا أن نراعي بأننا في عصر العولمة. فيما يخص الديمقراطية اعتقد الطويل بأن ثورة يناير قد أتاحتها لنا.

أشار عبد الغفار شكر إلى أن صيغة «المنابر» تعطي الأقلية حق تقديم تقريرها إلى المؤتمر العام للحزب، إلى جانب تقرير اللجنة المركزية.

لاحظ أحمد زكريا (مستقل) أن ما فجَّر الأزمة كان غياب اليسار عن الأحداث الأخيرة في مصر، و بالتالي عجز اليســـار عن التأثير في الحر كة الجماهير ية، و كان يمكن أن تتم معالجة مختلف المـ شاكل، أثناء النـ شاط، (كنا في الثورة نفتش عن ا سم جامع، ولا نزال). في الانتخابات البرلمانية الأخيرة اندفعنا نعطي أصــواتنا لقائمة «الثورة مســتمرة»، على ســبيل المثال. ومن هنا تمنى زكريا الخروج بإطار واسع واحد لليسار. وأشار إلى فروق ملحوظة بين الحزب السري ونظيره العلني.

ختم د. محمد هشــام باقتراح أن يتبنى «التحالف» و«الاشــتراكي» و«الشــيوعي»، فضــلاً عن «الجبهة العربية المشاركة للمقاومة الفلسطينية»، تنظيم ندوات لاحقة لا ستكمال ما تم طرحه من قضايا.

وبعد، فيكفي هذه المائدة شرف إعطاء دفعة جديدة لوحدة اليسار المصري.

فهرس الكتاب

بطاقة فهرسة 2
مقدمة 3
فارس.. وكاتب.. وقضية 4
ورقة للمناقشة في أزمة اليسار المصري عبد القادر ياسين 6
كيف يمكن تجاوز أزمة اليسار المصري عبد الغفار شكر(التحالف الشعبي الاشتراكي) 19
أزمة اليسار بين الماضي والحاضر صلاح عدلي (الحزب الشيوعي) 31
دور الأجانب في الحركة الشيوعية المصرية وفي أزمتها سعد الطويل (الحزب الاشتراكي) 42
مصطفى مجدي الجمال (الحزب الاشتراكي) 68
اتحاد الاشتراكيين ضرورة مُلحة لشعبنا نبيل صبحي (حزب الشعب الاشتراكي) 74
مائدة مستديرة حول أزمة اليسار المصري 90
فهرس الكتاب 100